الاثنينية

٢٨١

حفــل تكريـــم

سعادة الأستاذ الدكتور عمر بن قينة

في ٢٦/ ٠١/ ١٤٢٦هـ
٠٧/ ٠٣/ ٢٠٠٥م

سعادة الأستاذ الدكتور عمر بن قينة

المحتـــوى

١ ـ كلمة الافتتاح ألقاها عريف الحفل

٢ ـ السيرة الذاتية سعادة الأستاذ الدكتور عمر بن قينة

٣ ـ كلمة سعادة الشيخ عبد المقصود محمد سعيد خوجه

٤ ـ كلمة سعادة الدكتور عبد الله المعطاني

٥ ـ كلمة سعادة الأستاذ الدكتور حسن الوراكلي

٦ ـ كلمة سعادة الدكتور جميل مغربي

٧ ـ كلمة سعادة الدكتور عبد الكريم العوفي

٨ ـ كلمة سعادة الأستاذ عادل خميس

٩ ـ كلمة فارس الاثنينية سعادة الأستاذ الدكتور عمر بن قينة

١٠ ـ الحوار مع المحتفى به

١٢ ـ كلمة الختام

حفل التكريم

«كلمة الافتتاح»

افتتح الأستاذ محمد علي قدس عريف الحفل الأمسية قائلاً:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

أسعد الله مساءكم جميعاً، ما أجمل أن نلتقي في هذه الكرمة الأدبية المتألقة، والأجمل أن يتجدد معكم اللقاء، مع هذا الجمع المبارك وهذه الوجوه الطيبة من روّاد الاثنينية وأصدقائها يتواصل عطاء هذه الدار بصاحبها وبكم وما أجلّه من عطاء يُكرَّمُ به الرموز ويُحتفى في رحابه الأعلام.

خير بداية نبدأ بها لقاء الليلة آيات بيّنات من كتاب الله العزيز يتلوها الشيخ علاء المزجاجي.

«تلاوة مباركة»

عريف الحفل: ضيف الاثنينية الليلة التي دأبت على الاحتفاء بالأدباء المشارقة والمغاربة، باحث من المغرب العربي هو الأديب الباحث الجزائري الأستاذ الدكتور عمر بن قينة.

«السيرة الذاتية»

- هو كاتب وباحث جامعي يعمل حالياً أستاذاً للأدب العربي بقسم اللغة العربية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.
- وهو من مواليد الجنوب الجزائري، تلقى دراسته الجامعية الأولى في جامعة الجزائر سنة ١٩٧٢م والمدرسة العليا للأساتذة عام ١٩٧٣م متوّجاً دراساته العليا بشهادة الدراسات المعمقة سنة ١٩٧٦م ودكتوراه الحلقة الثالثة سنة ١٩٨٢م ودكتوراه الدولة من جامعة الجزائر المركزية سنة ١٩٩٢م.
- عمل في التعليم الثانوي خمس سنوات ١٩٧٣ ـ ١٩٧٨م قبل أن يتفرغ للبحث والتدريس في جامعات الجزائر وتيزي وزو والمدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية بالجزائر بين عام ١٩٧٨ ـ ١٩٩٧م ثم جامعتي قطر بين عام ١٩٩٧ ـ ٢٠٠٠م وصنعاء ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١م وجامعة الملك عبد العزيز اعتباراً من ٢٠٠٣ وحتى تاريخه.
- عمل مستشار خبرة في مؤسسات جامعية وبحثية، وفي مجلات محكمة وعامة.
- أشرف على عشرات من رسائل التخرج الجامعية، وقد ترأس فرقاً للبحث العلمي، كما أشرف على عدة رسائل (ماجستير) و (دكتوراه) في الجزائر وخارجها، ترأس معظم لجانها.
- كرَّمته جامعة الجزائر المركزية بشهادة شرفية وبجائزة يوم العلم سنة ١٩٩٥م كما كرّمه اتحاد الطلبة الجزائريين وجامعة الجزائر المركزية بشهادة شرفية سنة ١٩٩٦م بعدما رفض جائزة رئيس الجمهورية سنة ١٩٨٨م.

باحث، وكاتب مقالة، وقاصٍ، وروائي، له نحو ثلاثين كتاباً مطبوعاً: (بحوثاً أكاديمية، ومؤلفات عامة، وأعمالاً إبداعية، ومجاميع مقالات فكرية وسياسية وأدبية).

ـ أعدَّ برامج ثقافية مختلفة للإذاعة الجزائرية، وكتب في أهم الصحف الجزائرية، وفي مجلات عربية بباريس ولندن، واليمن، والإمارات العربية المتحدة، والمملكة العربية السعودية، وقطر.. بالإضافة إلى الكتابة في مجلات عامة مثل (المنهل) و(جذور) السعوديتين، ومتخصصة محكمة: كالـ(الفيصل) السعودية، و (الجسرة) الثقافية القطرية، وحولية كلية الآداب بجامعة الكويت، وحولية كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة قطر، وحولية مركز البحوث والدراسات الإنسانية بجامعة قطر.

نُرحِّب بضيف الاثنينية والكلمة الآن لصاحب الاثنينية وراعيها سعادة الأستاذ عبد المقصود خوجه وهي استهلالة الكلمات في هذا الاحتفال.

«كلمة سعادة الشيخ عبد المقصود محمد سعيد خوجه»

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من تعلم وأعلم بالله عزّ وجلّ.

الأخوات الفاضلات..

الأخوة الكرام..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

تشرف هذه الأمسية المباركة باستضافة علم من روّاد الأدب الحديث في ربوع منطقتنا العربية، الذي طالما زرع الساحة الثقافية نماء أدب، وتفاعل فكر، وإبداع كلمة، بكل ما يعتمل في مخيلته ولبه من رؤى وأفكار، سعادة الأستاذ الدكتور عمر بن قينة الذي لبى دعوة الاثنينية مشكوراً، فأهلاً وسهلاً ومرحباً به وبصحبه الكرام، سعداء بالالتفاف حول فارس هذا الأسبوع، متطلعين إلى الارتواء من فيض علمه، وثاقب فكره، وثراء أدبه، وسابغ فضله، فلنا معه محطات رئيسية أربع:

أولها: إن ضيف أمسيتنا أيها الأحبة من أدباء الرعيل الثاني الذين عاصروا وصارعوا بقلمهم وفكرهم الحقبة الاستعمارية البغيضة، بمختلف ممارساتها وصنوف فرنستها للشعوب التي أبت ألا تتوشح إلا بثوب نشأتها وعز مهدها، فلم يستكن لواقع مفروض مرفوض، بل تشرب بماضي بلاده الحضاري الموروث كابراً عن كابر، وبعنفوان تراثها الثائر، وبثراء موروثها الفكري والحضاري، فكان من الطبيعي ألا يستسيغ فارسنا وسطاً دخيلاً لم يكن في يوم من الأيام مقتاداً أو مقيداً تحت عباءته، ولكنه أعمل حصافته، ومارس خبرته، وأزكى حنكته الأدبية والاجتماعية، في التصدي لتلك الإرهاصات الاستعمارية التي ما زال أوارها يستعر فينة بعد أخرى في محاولات يائسات، لتحقيق ما غربت عنه شمسها، وخبا في الأفق سراجها، فجاء تشبعه بإيجابيات تلك الحقبة التي ساهمت ضمن ما ساهمت به في تميّز مكوّناته الشخصية، فغدا بكل جراءة واقتدار، وطنياً غيوراً، وحادباً حامياً لتراث طالما رواه أسلافه بمهجهم، وعظيم ثباتهم، وقوة شكيمتهم، من أجل مستقبل واعد وغد وارف.

وثانيها: إن أديبنا الذي تربّع على عرش بلاط صاحبة الجلالة، وفُتن وافتنّ بمعاناة الحروف المعبرة عن مكنونات النفس الشفافة، جاءته مفرداتها سهلة ميسورة، مذللة ذليلة، طائعة مختارة، خاضعة منقادة إليه فعبّر بها، وعبر بها إقليمية الحيّز، متجاوزاً حدوداً خطها الأغراب لتعانق رصيفاتها الخليجيات والأوروبيات على حد سواء، حاملاً مشارب القضايا الأدبية والثقافية فوق الأحداق، محلقاً بها في كل محفل وموقع، مساهماً بذلك في ازدهار ونمو الحراك الثقافي، فجاءت مشاركاته الجادة، وإبداعاته الفاعلة، إضافة حقيقية وقيّمة في دفتر الثقافة العربية، وقنطرة ممتدة بين مشارق

الأدب الحديث، ومغارب الفكر المستنير، بين أدب الشرق الزاهي، وفكر المغرب الراقي، مؤثراً ومتأثراً، فكان الانسجام بينهما بيّناً جليًّا، بعد عناء انفصام مديد، فعمّق بذلك حضوراً مغربياً في أروقة الصحافة المشرقية.

إن المخزون الثقافي الذي ظل يتنامى ويتعاظم لدى فارس أمسية الليلة عبر سنين المدارسة الحيوية، والتفاعل الإيجابي المؤطر، والحضور الذهني المنفتح، والعمق الفكري المترابط، والتنوّع البيئي الآسر، كل تلك الإيجابيات وغيرها كثر، ألحت على ضيفنا الكبير ليطرق باب الرواية بثقة واقتدار، وجرأة واختيار، مهتماً بكل ما يتطلبه هذا الفن الذي لا يطرقه إلا من يتمتع بعناية فائقة في سرد التفاصيل ودقائق الأحداث والأنماط، وما تحتاجه من شخوص متنافرة لكنها مترابطة في نسيج الرواية، ووقائع تستحوذ الألباب، وتفرض نفسها كمتعة فنية لا غنى عنها، وأزمنة محددة وأمكنة متعددة، فسكب فيها عصارة تجاربه الثرة، وتأملاته البديعة، وقراءاته المنتظمة، ليرسم لنا بقلمه المتمكّن أحداثاً مستقاة من الواقع المعاش بكل حيثياته وخطوطه، بكل حواراته ونقاشاته، بكل تناقضاته ومكنوناته، فخرجت للمتلقي كما أرادها المبدع، وكأنها وقائع ماثلة أمامه في صورة بهية، ومعنى غزير، ومبنى رائع ورائق.

وثالثها: نلاحظ من خلال السيرة الذاتية لضيفنا الكبير نشاطه الدؤوب في محافل العلم والثقافة ومعايشة المجتمع قلباً وقالباً، فليس لفارسنا وقت متصل يتسع للراحة والدعة، والهزج والتسلية، والاستجمام على شواطئ اللامبالاة، والوقوف مترهلاً على رصيف الوطن، والمكث حيياً على هامش الحياة، فله في الإذاعات صولات وجولات، وفي ميادين الصحافة مقالات وكلمات، ونجده في الجامعات تنويراً وتطويراً، وبين طلابه على موائد

الأدب والتحصيل، رائداً ومريداً، فكأنه أراد بكل تلك الجهود والمجهودات أن يضرب مثلاً عملياً، وواقعاً حياً، ونموذجاً فريداً، في أهمية تنظيم الوقت وتفعيله واستثماره، ورسالة صامتة لكل من يهدرون أوقاتهم سدى في غير منفعة، أو يستثمرون جلّه في انصرافيات فضول القول، أو يمارسون اللاوعي، والغياب الطوعي عن محافل ومنارات الفكر والأدب، فيخلب لبهم ترف غربي مهيض، ومضمون طبلي أجوف، وتستحوذ عليهم حبائل الغرب البارعة مكراً وزعافاً، طمساً يرين على مقدراتهم وقدراتهم، فيعزلون وهم مذبذبون بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

ورابعها: أن ضيفنا ظل ممسكاً بتلابيب فن المقالة التي كرَّس لها حيزاً مقدراً في المساحة الخضراء لاهتماماته الأدبية، فتنوّعت إبداعاته فيها بقدر ما يتطلبه هذا الفن من ذوق وتذوق، وإيجاز واقتضاب، وفكرة محددة الأركان، مقصورة البيان، ومفردات منتقاة بعناية وابتكار، وثقافة متنوّعة المشارب، موزّعة بين الاجتماع والسياسة، وبين التأمل، والمعايشة، وبين الذاتية والموضوعية، فيطوف بنا في حدائق ذات بهجة، نقتطف منها ثماراً يانعة، ورؤى مبتكرة تزيدنا رواء وغذاء، فنرشف منها عذباً فراتاً.

وأخيراً لا شك أن لفارسنا الكثير والكثير مما تجيش به نفسه، مما لم تتح لنا فرصة التعرف عليه من أي مصدر آخر، وله من المحطات والوقفات التي سيتحفنا بها بكل أريحية وشفافية، ما يجعلنا نتطلع إلى المزيد، ومما يوشي هذه الأمسية ألقاً وتألقاً، ويزينها إثراء وثراء، أن ما ستثيرونه من أسئلة موضوعية، واستفسارات جادة، ستعمل على معرفة الجوانب الأخرى من مكوّنات شخصيته الفذة، وتلقي الضوء تلو الضوء تجاه ما خاضه من تجارب وخبرات.

سعداء أن نلتقي الأمسية القادمة بفارس آخر، له من الإبداعات والمؤلفات ما يجعلنا نبكر في الالتفاف حوله، نسامره بما لدينا من أفكار، ليسامرنا بحديث الذكريات، هو سعادة البروفيسور الروسي ألكسي فاسيليف، صاحب الكتاب المشهور «تاريخ المملكة العربية السعودية» ورئيس مركز الدراسات الشرقية والشرق أوسطية قادم إليكم من روسيا.. تلك البلاد البعيدة مسافة، القريبة لقلوبنا.. فأهلاً وسهلاً به وبكم وإلى لقاء يتجدد وأنتم بموفور الصحة والسعادة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

عريف الحفل: في برنامج احتفاء الاثنينية بضيفها وفارسها الليلة كلمات لعدد من الأدباء الذين يشاركوننا في هذا الاحتفاء وسنترك المجال للضيف لكي يتحدث فيما بعد، ومن ثمَّ سنترك لكم الأسئلة والمداخلات. الكلمة الآن لسعادة الدكتور عبد الله المعطاني الذي اشتاقت إلى كلماته منابرنا.

«كلمة سعادة الدكتور عبد اللَّه المعطاني»

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها السادة الكرام في هذه الكلمة التي أرجو ألا تطول لا أدري سوف أتحدث عن مَنْ، هل أتحدث عن المُكَرِّم؟ م أتحدث عن المُكَرَّم؟ ودعوني أبدأ بالمُكَرِّم، فالأستاذ عبد المقصود خوجه على الرغم من أريحيته ولطافته وبشاشته ورقته، إلا أنه عنيد، عنيد جداً، وسوف أقف عند عنيد، وأنتقل إلى المنقبة الثانية إن كانت هناك مناقب، الأستاذ عبد المقصود خوجه في بعض الأحيان يُحرِج أصدقاءه على الرغم من أنه وفيٌ معهم، وقد يوقعهم

في بعض المزالق، فأنا سوف أروي لكم قصة أرجو أن تكونوا حكماً بيني وبين صديقي الأستاذ عبد المقصود خوجه، فقد قرر منتدى المثقف العربي في مصر أن يُكَرِّم الأستاذ عبد المقصود، برئاسة الأديب المعروف الدكتور عبد الوالي الشميري الأديب اليمني والشاعر المعروف، ثم تلفتوا يمنة ويسرة لعلّهم يجدون من يستطيع أن يقنع الأستاذ عبد المقصود بهذا التكريم، ويبدو أنه قد وقع الخيار عليّ، فانتفضتُ انتفاضة اللقوة في وكرها، واللقوة هي: العِقاب، وقلت أنا لها، سوف أذهب إلى الأستاذ عبد المقصود في بيته وأقنعه بهذا التكريم، وفعلاً أتيت بالجمل بما حمَل إلى أبي محمد سعيد، ثم بعد ذلك وضع الشمس في يد والقمر في يد وقال لي جميع ما تطلبه موجود وأنا مستعد للتكريم، ونقلت هذا إلى الدكتور عبد الوالي وقلت له: «خلاص» نجحت المساعي ولله الحمد.. وإذا بي أُفاجأ بعد أن غادرت هذه البلد إلى عملي في لندن بأن الدكتور عبد الوالي يقول لي: أين الأستاذ عبد المقصود، لقد ذهب إلى أمريكا وتركنا، ومن ذلك الوقت إلى الآن وأنا في حرج شديد، فلهذا وجدت أن الاثنينية فرصة لكي على الأقل أسدد بعض ما وقع فيه الكفيل الغارم من حرج أمام هذا المنتدى الكبير في عالمنا العربي والذي يحمل وجوهاً ثقافية جميلة ويصدر عنه مجلة كبيرة جداً ولعلّ الأستاذ عبد المقصود خوجه في هذه الليلة ينصف أصدقاءه، وأنا أحدهم.

أما المُكرَّم فهو الدكتور عمر.. أستاذ جامعي وباحث نشيط، ومن الذين تجاوزوا أسوار الجامعة إلى المجتمع فمدُّوا جسور الثقافة والوعي وحملوا رسالة صادقة، وحينما يحمل أستاذ الجامعة الرسالة الصادقة ينجح في عمله، ولذلك نجد أن إنتاج الدكتور عمر إنتاج غزير، والوقت لا يسمح أن نتحدث بعين الناقد عن جميع ما كتب الدكتور عمر ولا سيما أن هذه الليلة هي ليلة

احتفائية، تكريمية، والدكتور كتبَ في الرحلات، ويبدو أن حياة الرحلة أثَّرت في مسار حياته لأنه تنقل كثيراً بين الوطن العربي كان في قطر وذهب أيضاً إلى عدة أماكن وجاء إلينا، وكذلك كتب عن القصة كتابة جميلة جداً رائعة ومعمّقة وبأدوات الباحث المتميز بوضع رؤية وليست مجرد ناحية إخبارية أو رصدية كما يفعل الكثير، ولكنه قدَّم رؤية في القصة القصيرة في الجزائر والرواية، وكذلك لديه ما يُحمَد عليه وهو أنه يُدافع وينافع عن الأصالة العربية، في وقت اجتاحت الفرنسية وتوجهاتها كثيراً من أفكار العالم العربي في الغرب، وخاصة نجد هذا في المغرب وإلى جواري الآن أستاذ مغربي مرموق والمعركة جداً محتدمة وكذلك في الجزائر وفي تونس.

نجد أن الدكتور عمر حمل أدوات الباحث المنفتح على الغرب ولكن برؤية صادقة متعمقة في التراث، وهذا هو فعل الباحث الجاد الذي لا يُنكِر أصالته ولا يُجتثُ من جذوره، فهذه يعني لو أردت أن أتحدث عنها لطال بي المقام، الدكتور عمر كذلك مما يشرفني في هذه الليلة أن أقول بأني كنت همزة الوصل ما بين الدكتور عمر وجامعة الملك عبد العزيز لكي أقنعه بالمجيء إلى القسم، لم تكن محاولة يسيرة ولا بسيطة، واستعنت بصديقي الدكتور حسن الوراكلي، وطبعاً وفقنا في هذا وهذا في صالح الساحة الثقافية وكنت دائماً أقول له يا دكتور لا بد أن تمد الجسور ما بينك وبين الأدباء السعوديين وما بين الباحثين وما بين المبدعين لأننا في حاجة إلى هذا، في حادثة بسيطة حدثت للدكتور في أول يوم يأتي إلى المملكة العربية السعودية، حينما جاء إلى المطار يبدو سوء تنظيم من القائم على العلاقات في جامعة الملك عبد العزيز لم يستقبله أحد، ثم جاء إلى القسم وكنا في إجازة، ولكن سبحان الله أراد الله أن آتي إلى القسم في ذلك اليوم، وكان في غاية

الأسى حينما قال أنا لم يستقبلني أحد، وكدتُ أن أعود، طبعاً هذه الكلمة أثرّت في نفسي تأثيراً واضحاً، وقلت له يا دكتور إذا لم يستقبلك أحد في المطار فإن قلوبنا تستقبلك، وأقول لك بأن هنا في هذه البلد رجالاً يُقدِّرون العلم والعلماء، وذهبت أنا وهو إلى معالي مدير الجامعة وليست العادة جرت أن يكون هذا وكنت متعمداً واستقبله استقبالاً جيداً ومن ثم إلى وكيل الجامعة الذي قال له أنا أعتذر بكل حرارة ويبدو أنه سوء تنظيم.

الدكتور عمر لا شك أنه مكسب لقسم اللغة العربية بجامعة الملك عبد العزيز، وللساحة الثقافية، وتشرفت أيضاً بأن أدَرِّس أنا وهو الدراسات العليا، وكنا إلى جوار بعضنا، وأُسنِدَت إليَّ مادة وهي تحليل النص النثري القديم واعتذرت للقسم وقلت بأن الذي يستطيع أن يكون كفؤاً وجديراً في تدريس هذه المادة هو الدكتور عمر بن قينة، وفعلاً استمر وتفاعل مع طلبة الدراسات العليا ومع جامعة الملك عبد العزيز، وأنا سعيد كل السعادة في هذه الليلة أن يتحقق على الأقل ما قلته له بأن هناك رجالاً في هذا البلد يُقَدِّرون العلم والعلماء ويكرمونهم، أشكر الأستاذ الشيخ عبد المقصود خوجه على هذا الاختيار، وأقترح اقتراحاً له أيضاً ولا سيما أننا في هذه الليلة نحن نعيش الهوى الغربي، أو المغربي، أن هناك مؤسسات تستحق التقدير وتستحق التكريم وتستحق الدعم وهي كثيرة جداً، ومنها مركز الدراسات الأندلسية وحوار الحضارات، في الرباط الذي تشرفت بأن أكون أحد أعضاء المجلس وقد جاءكم إلى هنا الدكتور عباس الجراري وهو أمين المجلس، وتحدث عن المركز وما له من جهود وما له أيضاً من فعاليات، وأرجو أن تمد الاثنينية يدها أو جسرها إلى هذا المركز وإلى غيره من المؤسسات، والسلام عليكم ورحمة الله.

عريف الحفل: الكلمة الآن لسعادة الأستاذ الدكتور حسن الوراكلي الباحث والناقد المغربي وأستاذ الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز.

«كلمة سعادة الأستاذ الدكتور حسن الوراكلي»

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

السيدات الفاضلات..

السادة الأفاضل..

يسعدني في هذه الليلة أن أشارك في هذا التكريم الذي خصَّ به صاحب الاثنينية أخونا العزيز الأستاذ عبد المقصود خوجه صديقاً وأخاً له في النفس وفي القلب مكان خاص، وكما قلت غير مرة في مناسبات مثيلات يعجبني مع أنني قد أؤثر التحدث هكذا بتلقائية وعفوية، لكن يعجبني في مثل هذه المناسبات أن أكتب قبل أن آتي إلى المنتدى أو إلى الجمع الكريم كلمات أودعها لا أتحدث عن حياة المحتفى به، ولا أُترجم به، ولا أعرض لأعماله وآثاره في هذه الكلمات، ولكنني أودعها من فيض إحساسي ودق شعوري ما تجمّع بطول المعاشرة أو باتصال صحبة أو بموصول الصداقة، فهذه إذا تكرمتم بسماعها كلمات تفيض بهذه المعاني، على أنني قبل ذلك أحب أن أضع السادة الكرام والسيدات الفضيلات في الصورة، عنوان هذه الكلمة يتضمن بعض الأسماء وهي عبارة عن مصطلحات هذه الكلمة بعنوان «عمر بن قينة» عرّابة الأوراس يتلقى راية البصائر باليمين.

والعرّابة رجل من الأنصار، والبصائر: هي المجلة التي كرّست قيم الإسلام والعربية في الجزائر فعمر بن قينة هذه الليلة هو الذي عناه الشماخ

في قوله:

إذا ما راية رُفِعتْ لمجد تلقّاها عرابة باليمين

قبل لقائي بعمر أول مرة، كانت بيننا على بُعد الشقة وشط المزار مكاتبات ومخاطبات تعارفت عبرها أرواحنا فائتلفت! أوليست الأرواح جنوداً مجندة، ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف؟

وما ظنكم برجلين معنيين بِهَمٍّ ثقافي واحد، مسكونين بهاجس إبداعي واحد؟ يرى وأرى الثقافة معرفة تفرز سلوكاً وأن مورد الثقافة الإسلامية ـ أي معرفتها ـ هو الإسلام بصفته شرعة ومنهاجاً تتحدد وفقهما أخلاقيات أصحابها وسلوكياتهم، وما خالف ذلك في النظر والفعل والمنطق فهو رد!

يرى وأرى الأدب خطاباً يستأصل قيم الإكباب في الصدور ويستنبت قيم العدل والخير والجمال، يهزم بها الدياجي في الأنفس ويفجر أنوار الفجر في الآفاق! من ثم كان محور ما يكتب وأكتب رفع الإصر عن الأمة التي تحدق بها مخاطر الانسلاخ عن الذات والتماهي في عباءة (الآخر)..

من ثم توحد المقصد مما يخط وأخط: أن هلموا يا بني الإسلام، إلى عقيدة الاهتداء وثقافة الاستواء تهتدوا وتعودوا، إلى موقع الصدارة في الركب الحضاري للبشرية.

لكن ما بالي أقحم نفسي في حديث ينبغي أن أُفرد به مكرَّمنا ليلتنا الرائقة هذه، فلأثن عناني، ولأرسم لكم، وسعي، صورة المحتفى به، الدكتور عمر: عرّابة الأوراس، يتلقى راية (البصائر) باليمين!

حين ظن الغزاة القراصنة القادمون من وراء البحار، أنهم بعد جهد جهيد قدّروا على أن يكتموا أنفاس الفريسة ويسلخوا جلدها، (المقصود الشعب

العربي في المغرب العربي والجزائر بالذات).

حينئذٍ..

أترى أمر ربك..

رفعت راية البصائر..

رفعت من أول يوم لمجد..

هو مجد دين الإسلام، وهو مجد لغة القرآن،

انشرحت بطلعتها صدور قوم مؤمنين،

خفقت لها قلوبهم..

خَفَّ عرابة..

بل ألف عرابة، يتلقونها باليمين!

هذا كان في طليعتهم.

خف، في فتية آخرين، إلى حيث رفعت الراية..

ثمة، كانت عيون وينابيع تتدفق بعذب نمير سلسبيل..

أكب عليها، ومن معه، ينهل، ويعل!

استمرأ ما غرف من يد الإبراهيمي، وابن باديس، والعقون، وسحنون، والغسيري، ومحمد العيد آل خليفة..

ثم مضى،،

ومن معه، وأفئدتهم مترعة بحلاوة ما نهلوا، وألسنتهم رطبة بعذوبة ما علّوا:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
من رام إدماجاً له رام المحال من الطلب
يا نشء، أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب ولا تهب

الذين نهلوا وعلوا من عيون (البصائر)..

الذين آمنوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبلغة الضاد منطقاً ولساناً،

كانوا فريقين:

فريقاً أعلن فتيته للدنيا، من فوق شاهقات الأوراس، جهاد الإيمان،

يرهبون به عدو الله وعدوهم..

وأشعلوا القمم، والوهاد، والوديان، والسهول بالتكبير والتهليل..

وفريقاً خلف من بعد الأول..

واصل فتيته بالقلم جهاد فتية السلاح..

يذودون عن حمى المعتقد واللسان، لا يكلّون ولا يملّون!

هذا عمر بن قينة،،

كان في طليعتهم!

ودونكم الشاهد على ذلك يتلوه الشاهد،

أنصتوا إليه إذ يقول: (.. فهؤلاء القوم لم يكن لهم شأن (يعني الجزائريين) إلا بالإسلام، وهو الإطار نفسه الذي تحددت فيه لأول مرة في التاريخ هوية الشعب الجزائري واستقرت بعد ما قاوم جميع المحتلين، ثم

احتضن الإسلام وحمل رايته وقد نضجت هويته بمضمونيها، العربية لغة جامعة بين سائر أفراده، والإسلام عقيدة توحيد ونظام.

أولاً ترون ابن قينة، عرابة الأوراس يرفع بهذه الكلمات راية (البصائر) باليمين؟

ثم أنصتوا إليه إذ يقول: (الاعتصام بالإسلام ديناً ولغته العربية لساناً في مواجهة البغي الاستعماري العسكري، والثقافي، والديني عكس حدة الصدام الحضاري بين حضارة الإسلام وحضارة النصرانية).

أولاً ترون ابن قينة، عرابة الأوراس يرفع بهذه الكلمات راية (البصائر) باليمين؟

ثم أنصتوا إليه إذ يقول: (تكبر اليوم الهجمة المحمومة على العربية والعروبة تحدوها الأصوات الناعقة في محيط الردة المشبع بالفكر الفرانكوفوني الحاقد، تحركت اليوم كل المحطات التي رعاها الاحتلال وتعهدها بالنماء سراً وعلانية، ومنه دعوة الأمازيغية التي ترفع اليوم في الظاهر كمطلب ثقافي تراثي بريء، وفي السر والهدف كما يخطط مخططون تتقدم استراتيجياً كخط دفاع أول لحماية الفرنسية التي تصارع في صمت ومكر ودهاء دفاعاً عن موقعها المتميز في جزائر ابن باديس وابن مهيدي.

أولاً ترون ابن قينة، عرابة الأوراس يحمل بهذه الكلمات راية (البصائر) باليمين؟

ثم أنصتوا إليه، مرة أخرى وأخيرة، يؤكد على ثوابت الهوية الثقافية لشعبه من قديم تاريخه إلى يومه:

(انطلق أبناء لجزائر يعضدون الإسلام وينشرونه، ويبدعون بلغة القرآن في الوقت الذي شرعت فيه الملامح الثابتة للهوية الجزائرية تتحدد بوجهها العربي

الإسلامي، فآي الذكر الحكيم حببت في لغة القرآن (العربية) التي لم تناهض (البربرية) ولا (البربرية) أبدت ضيقاً بها، بل من كتّاب (البربرية) من مارس الكتابة باللغتين: بربرية وعربية القرآن قبل أن ينصرف للكتابة بالعربية وحدها طواعية وحباً اقتناعاً تاماً بأنها اللغة الحديثة الأكثر قوة وثراء ودقة في التعبير عن النفس، وعن العلم، ومقاصد الشرع، وإدارة السياسة، وطموح الرسالة المحمدية فضلاً عن أنها لغة القرآن).

أولاً ترون ابن قينة مثلما رأيته من قبلكم:

عرابة الأوراس، يتبقى راية (البصائر) إذ رفعت لمجد، باليمين؟

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

عريف الحفل: الآن تتوالى الكلمات ورجاء أن تكون الكلمات بين خمس وسبع دقائق، كسباً للوقت، الكلمة الآن لسعادة الأستاذ الدكتور جميل مغربي.

«كلمة سعادة الدكتور جميل مغربي»

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وسائر الأنبياء والمرسلين.

سأتحدث بحديث المحب لا حديث العارف، واسمحوا لي أن أنأى بكم بعيداً لأقترب قريباً، فمن قديم قيل إن القرب حجاب، كان لي صديق هو شاعر وباحث وأكاديمي، ولكن مشكلته العظمى في القلق، القلق يكاد يقترب من حد الهاجس السلوكي الذي يجعله ينبو به المكان، كنت ألتقيه في مناسبات ثقافية، أفتح المصعد أجده أمامي، أذهب إلى السلالم المتحركة

أجده أمامي، أتحدث في بهو الفندق أجده أمامي ثم خلفي، زار المملكة ضيفاً على الشيخ عبد المقصود، اتصل بي في البيت لم يجدني، اتصلت به لم أجده بالفندق، أتيت إليه في الثانية عشرة مساء فانتظرت قال أصعد إلى الغرفة، صعدت فإذا به يدير الهاتف ظننته سيتصل بقريب له فإذا به يتصل بالشيخ عبد المقصود، أحرجني مع الشيخ عبد المقصود فأفهمته فيما بعد أن الرجل استسلم لسلطان النوم ولا يليق أن نتصل به في هذا الوقت، هذا القلق هو السمة والقاسم المشترك بين الأدباء جميعاً، تتفاوت نسبته وتتباين درجته، وهو تماماً يشبه ظاهرة (النرجسية) لدى الشعراء، والفنانين.

أعود إلى أخي المكرَّم الدكتور عمر بن قينة، وصلتني أوراقه وكنت آنذاك رئيساً لقسم اللغة العربية، كنت سعيداً وربما من حسن حظي وحظ القسم، لأنني كنت حريصاً على مبدأ اقتصادي وهو تنويع مصادر الدخل، حملت معيداً من المعيدين على السفر إلى أسبانيا لدراسة الأدب الأندلسي هناك، وحملت آخر بالتوجه إلى فيينا لدراسة المسرح في النمسا، وحينما وصلتني الأوراق سعدتُ بها ولا أخفيكم أنني تخوّفت من ظاهرة معينة وهي فوارق اللهجات، ولكنني خلصت إلى أنها ستكون مزية لصالح الطالبات والطلبة، وهذا بالفعل، فإن الشكوى من الطالبات والطلبة أن الدكتور عمر يحملهم على التحدث باللغة العربية الفصيحة وهو ما نريده ونبحث عنه، الشكوى الأخرى أنه يجهدهم بالبحوث والتكاليف، وقلت لهم: أنتم مشروع أستاذ جامعي، والأستاذ الجامعي تكوين لا تلقين، أو تحضير لا تلقين.

أعود للدكتور عمر حين وجوده في القسم وحينما كنت رئيس القسم كنت أحرص على الجلوس إليه، لم أستطع القبض عليه حتى إنني في بعض المناسبات كدت أن ألزمه بالجلوس لكي استشف منه بعض الرؤى وبعض

الأفكار لكي أستفيد منه في بعض الجوانب فلم أستطع، في كل مرة أجد الرجل على قلق، ودائم البحث ودائم الدأب، ويُعنى بالمحاضرات عناية دقيقة ومفرطة للغاية، حاولت أن أجتذبه من خلال البوابة المعروفة وهي التحدث عن العربي الجزائري قلت له: إني استشهدتُ في مقالة بعنوان «الاحتفال برمضان على الطريقة الجزائرية» بنص لأحلام المستغانمي من روايتها «ذاكرة الجسد» وهي تصف أن الثورة كالقطة تقتل أبناءها، وجدت أنه لم يلتفت وصبنَ عني كما صبنت أم عمرو عن الكأس وكان مجراها اليمين. وعلمت يقيناً حينما أعدتُ عليه أنني اقتنيت «عابر سبيل» لأحلام مستغانمي وأنسيتها في القاهرة وجدته أنه لم يلتفت لهذا فأدركت هذا البُعد، أردت أن أحدثه عن الأدب السعودي فكان أيضاً مشغولاً ببحثه ومعرفته، ففاجأني بقراءة في صحيفة «الرأي» القطرية عن قصيدة كتبتها بعنوان «رسالة إلى أبي العباس السفاح» كنت أقول فيها:

أبا العباس قد طال السُبات ألا تنهض؟ فنصف العُربِ ماتوا

فأدركت أنه لم يقرأ هذه القصيدة ولم يدرسها لأنها لي كصديق أو زميل أو رئيس للقسم، وإنما هو تلمّسَ فيها خطاً يتجانس ويتواءم مع رؤاه، وهو الخط القومي المندرج ضمن إطار الفكر الإسلامي، هذا ما خرجتُ به واستخلصته، والرجل يُعذَر في قلقه، القلق سمة مشتركة جده الأكبر أبو الطيب المتنبي كان يقول:

أَلِفتُ ترحُلي وجعلتُ أرضي قتودي والغُريرية جُلالا
فما حاولت في أرض مُقامة ولا أزمعت عن أرض زوانا
على قلق كأن الريح تحتي أوجهها يميناً أو شمالاً

وقال في موضع آخر: (أنا أود أن أشير إلى أن المتنبي حينما قال (أزمعت) ها هنا دليل على أنه لم يستقر فهو لم يزمع الرحيل لأنه لم يستقر أصلاً، وبعض الشرَّاح حينما يقولون على قلقٍ يقصدون به حذف المنصوب أنه جمل قلق إنما يفسدون المعنى لأن المتنبي أكّد هذا في جانب آخر حينما قال:

يقول لي الطبيبُ أكلت شيئاً ... وداؤك في شرابك والطعام
وما في طبه أني جواد ... أضرَّ بجسمه طول الجِمام
تعوَّد أن يُغبِّر في السرايا ... ويدخل من قَتام في قتام
فأمسك لا يُطال له فيرعى ... ولا هو في العليق ولا اللِجام
فإن أمرض فما مرض اصطباري ... وإن أُحْمَم ما حُمَّى اعتزامي
وإن أسلم فما أبقى ولكن ... سلِمتُ من الحِمامِ إلى الحِمامِ

هذا هو القلق الذي جعل من عمر بن قينة مبدعاً وباحثاً ورجلاً كما ذكر الشيخ عبد المقصود يجعل الوقت مسألة حيوية لا يفرّط فيها، ولا أريد أن أطيل طالما أني مُنحت وقتاً محدداً لكن أشكر لسعادة الشيخ عبد المقصود هذا التكريم الذي حقيقة طال جسد الأمة العربية حتى في أعضائها المنسية، في الأسبوع الماضي كان هناك ضيف من موريتانيا شاعرنا الكبير الذي يجلس إلى جانبي الأستاذ أحمدو اليوم زميلنا الشاعر والأديب والباحث عمر ابن قينة وأتمنى لكم جميعاً طيب العافية وشكراً للجميع. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عريف الحفل: الكلمة الآن لسعادة الدكتور عبد الكريم العوفي عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى.

«كلمة سعادة الدكتور عبد الكريم العوفي»

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الأخيار.

أصحاب السعادة.. الأستاذ المفضال عبد المقصود خوجه.. اخواني الحضور من علماء ومفكّرين وروّاد اثنينية.. أخي الدكتور عمر بن قينة.. السيد نائب القنصل العام للسفارة الجزائرية في جدة.. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد..

في البداية أود أن أتقدم بوافر الشكر والعرفان إلى صاحب الاثنينية الأستاذ عبد المقصود خوجه على استضافته هذه الكوكبة من علماء ومفكرين في بيته العامر بالعلم والخير، وأسأل الله أن يجزيه عنا وعن العلم خير الجزاء.

كلمتي التي أتقدم بها هي عبارة عن عرض لكتابٍ من الكتب التي ألّفها الأستاذ عمر بن قينة وهي تحمل هُمومَ مثقفٍ وهذا الكتاب يحمل عنوان «المشكلة الثقافية في الجزائر التفاعلات والنتائج»، مفاتيح هذا الكتاب، الإسلام، اللغة، الهوية، التنصير، الأمازيغية، الاستعمار، الفرانكوفونية، الثقافة البربرية، اللائكية، التغريب، الاضطهاد، الوطن، المرتزقة إلى غير ذلك من هذه المصطلحات التي ترددت في الكتاب، أود أن أشير قبل أن أواصل العرض إلى أن بعضاً من هذه المصطلحات التي أذكرها أو التي ذكرها الأستاذ كاللائكية والتغريب والفرانكوفونية لا تعني أنها كل الجزائريين الذين ينعتون بهذه الصفة يحملون هذه الصفات، إنما هذه فئة قليلة لكن نفوذها ربما لها نفوذها قوي ومؤثر في الجانب الفكري والثقافي في المجتمع الجزائري، وقد استمعنا إلى الأستاذ عبد المقصود خوجه في كلمته الشاملة

وإلى الأستاذ حسن الوراكلي المنبع والمنطلق الذي انطلق منه الدكتور عمر بن قينة وتوجهاته في معالجة هذه القضايا، وهو حينما يعالج ويذكر هذه المسائل فإنه لا يعني أنه ضد هذه التيارات المختلفة وإنما يريد أن يحمي مجتمعه من هذه الظاهرة الغريبة التي عادت بعد الاستقلال.

صدر الكتاب عن دار أسامة في الأردن، سنة ٢٠٠٠م وهو يقع في سبع وخمسين ومائة صفحة، يشتمل الكتاب على مقدمة وثلاثة أقسام: تناولت المقدمة إشكال الثقافة في الجزائر، وفيها يؤكد الكاتب أن الهوية الثقافية التي توطنت ركائزها في الجزائر منذ ثلاثة عشر قرناً أصبحت محل مراجعة ومزايدة تحت مؤثرات داخلية وخارجية، أما القسم الأول والموسوم به المشكلة الثقافية من حيث تفاعلاتها ونتائجها، فحدد فيهم مصطلح الثقافة الذي يشكِّل وعاءً للسياسة والاقتصاد والتاريخ والدين والعادات والتقاليد والاجتماع والأعراف والقوانين وأشكال التفكير والسلوك، وعنصرهما الأساسيان هما: اللغة والدين، فاللغة جمعت أفراد مجتمع، والإسلام وحدهم عقيدةً، وهو حال الشعب الجزائري طيلة القرون الثلاثة عشر الماضية إلى أن جاءه المستعمر فاحتله وأحدث ما أحدث فيه من شغب.

بدأت المشكلة تأخذ أبعادها الخطيرة منذ حصول الجزائر على استقلالها سنة ١٩٦٢م وذلك بضربها القيم والعادات والدين واللغة على أيدي ضِعاف النفوس من أبناء الوطن ممن اندمجوا مع التيار الفرنسي، فحدث مسخ شنيع على مر الأيام أفرز مشكلة ثقافية قلبت كل موازين الثقافة حتى صار أجيال الاستقلال يشكّكون في تاريخ بلادهم ومقوّمات مجتمعهم.

لقد ردَّ الغُزاة الرومان ومن جاء بعدهم، لكن المسلمين استقبلوا وناصرهم البربر لما أدركوا أن دينهم دين تسامح وعدل وتعلموا العربية

وأبدعوا فيها، وأبناء البربر الذين أبدعوا في اللغة العربية بكة بن حمّاد التيهرتي الشاعر المعروف، النحويان ابن معطي الزواوي وابن أجروم الصنهاجي والمؤرخ أبو العباس القريني وغير هؤلاء كثيرون ممن أثروا في الحركة الفكرية والثقافية على مر العصور، ومنهم: عبد الحميد بن باديس الصنهاجي وهو بربري الأصل، الذي يقول في إحدى خطبه راداً على دعاة التغريبية يقول: إن أبناء يعرب وأبناء أمازيغا قد جمع بينهم الإسلام منذ أربعة عشر قرناً، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء وتؤلف بينهم في العسر واليسر وتوحدهم في السراء والضراء حتى كوّنت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصراً مسلماً جزائرياً أمه الجزائر وأبوه الإسلام، يقول الكاتب عمر بن قينة: زُرعت بذور المشكلة الثقافية زراعة فرنسية خالصة على أساس لغوي عرقي، بعد نحو ثلاثة عشر قرناً، صارت فيها العرب هي لغة علم وتعليم، وبقيت البربر على الشفاه حرة طليقة فتلوّنوا باختلاف جهات الوطن كاختلاف العاميات العربية نفسها في الجزائر ذاتها والوطن العربي كله، أما حين اصطنعت هذه المشكلة فقد انجذب إليها كل الانتهازيين والوصوليين في بِرَك السياسة العكرة وفي حمأة الصراع المصلحي الشخصي الذي اتخذ له طابعاً جهوياً قبلياً، ثم تساءل كيف تفاعلت المشكلة الثقافية إبان الاحتلال الفرنسي؟ وأجاب بأن المشكلة حُبكت خيوطها بفعل عوامل منها:

أولاً: الفعل الاستعماري، حيث إن المستعمر طبق سياسة التنصير وتعليم الفرنسية، بدعوى رفع الجهل عن الجزائريين، ونشر الثقافة الأصيلة، والحضارة التي تخرجهم مما هم فيه.

ثانياً: تيار الولاء للاحتلال الفرنسي وقد عمل هذا التيار عبر ثلاثة أجنحة، جناح النخبة التقليدية، ثم جناح الاندماجيين وهو أشد الأجنحة خطراً على هوية الأمة لمساندته الدعوات الاستعمارية، ثم جناح الفئة

المثقفة العربية، وهذه الفئة مَكَّنَ لها المستعمر بأن تنشر كثيراً من كتب التراث ولكنها في الحقيقة انساقت وراء الرغبات الاستعمارية.

ثالثاً: التيار الوطني، الذي تصدى للمستعمر بكل الوسائل، وله أيضاً أجنحة متعددة:

أ ـ الجناح العسكري: وتمثّل في المقاومات العديدة التي قادها الأمير عبد القادر وأحمد باي، والشيخ والمحدار وعمامة، وكل هؤلاء رجال علم وأصحاب زوايا كانت لهذه الدور والمؤسسات كان لها دور فعّال في إيقاظ الوعي الوطني ونشر الثقافة الإسلامية والتعليم، القيم التي تجعل هؤلاء المواطنين يحاربون المستعمر الغازي، يقول عبد الحميد بن باديس في نشيد له خالد وقد ذكر الأستاذ قبل قليل مقطعاً منه:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب
أو رام إدماجاً له رام المحال من الطلب

فقد ذكر الأستاذ النشيد، قلت هذه الوضعية جعلت الحركة الوطنية تقوم بفصائلها المختلفة على رد مزاعم السلطة الفرنسية لكن المؤلف يتألم كثيراً باعتباره يحمل بهموم وطنه، لأن ثقافته ومكونه الأساسي تم في إطار ثنائية العروبة والإسلام فتساءل حينما عادت هذه القضية وقال: لماذا عادت الحياة قوية الفكر كنا نحسب أنها دفنت مع دعاتها أو تلاشت بتلاشي ظلال المحتلين في الجزائر، أين الخلل أفي مواثيقنا؟ أم في الذين قبضوا مقاليد الحكم؟ أم في سلبية التيار الوطني؟ ثم بعد ذلك تناول تحت عنوان «الهوية الوطنية في أهم المواثيق الجزائرية» بدا من ميثاق أول نوفمبر ١٩٥٤م إلى ١٩٩٦م وتعرّض بالتحليل والنقد للأوضاع التي أفرزتها هذه المسألة.

ثم في القسم الثاني من الكتاب يتحدث عن المسألة البربرية الأمازيغية وذلك عبر محطاتها الثلاثة، محطة أولى تبدأ من سنة ١٩٤٩م حينما عملت فرنسا على زرع هذه الفكرة في نفوس الناس في فرنسا، ثم بعد ذلك دعمتها بإنشاء الأكاديمية البربرية سنة ١٩٦٧م وبهذ اكتملت الحلقة الأولى، ثم بعد ذلك تأتي المحطة الثانية وهي: تبدأ سنة ١٩٨٠م عندما قام جمع من الطلبة في الثانويات وفي المركز الجامعي في ولاية تيزي وزو بمظاهرات حملت شعارات معادية للإسلام والعربية ودعت إلى استعمال اللغات المحلية والحقيقة، كما أشار الأستاذ قبل قليل هذه اللغات المحلية هي اللهجات المحلية العامية، واللغة البربرية أو الأمازيغية، وهي الحقيقة عبارة عن حصان طروادة اتخذوه للوصول إلى إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية، ثم تأتي المحطة الثالثة وهي: في الواقع ١٩٨٩م التي تعتبر في الحقيقة هزّة عنيفة في المجتمع الجزائري عندما فُتِح المجال لتعدد السياسية فدخل فيها كل من هب ودبَّ وتبنت الكثير من الأحزاب السياسية هذه الفكرة الفرانكوفونية الغربية.

أخيراً.. في القسم الثالث من الكتاب يعرض لنا المؤلف في طائفة من مقالات نشرها في جرائد وطنية وجرائد عربية منها «الراية» الخليجية، يعرض فيها جملة من القضايا الفكرية وشيجة الصلة بهذه المسألة، والحقيقة هذه المسائل كلها التي نشرها في هذه المقالات تُعد وسيلة من الوسائل التي يرى المؤلف بأننا لو اتخذناها أو سرنا على منوالها يمكن أن نحارب هذه الظاهرة لكن أقول لأستاذي وزميلي إن هذا الكتاب قد كُتِبَ سنة ٢٠٠٠م ومرت..

الشيخ عبد المقصود خوجه: أستاذنا الكبير لقد أخذتم وقتاً أطول، لأنه ليس لدينا متسع من الوقت.

الدكتور عبد الكريم العوفي: سؤال فقط للأستاذ، قلت خمس سنوات مرت على الكتاب بعد هذا التوصيف الذي قدّمه الأستاذ واليوم المسالة ازدادت ونمت فهل من توصيف آخر؟ وكيف يمكننا أن نمكّن إخواننا في المشرق العربي وفي الخليج العربي من معرفة ومعايشة هذه الظاهرة الغريبة التي نرى أنها لو استمرت قد يمتد أثرها إلى خارج الجزائر؟

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيخ عبد المقصود خوجه: رغبتي أن أعطي الكلمة لكل من يود، والوقت الذي يود، ولكن مع الأسف الوقت قصير، فلذلك أرجو ألاّ تكون الكلمات أكثر من خمس إلى سبع دقائق حتى نتيح الفرصة لأكبر عدد من المتكلمين، وهناك لا يزال للضيف مساحة كبيرة يجب أن يأخذها قبل أي متكلم آخر، وهناك أيضاً حوار بينه وبين الحضور من الأخوات الفاضلات والأساتذة الكرام.

عريف الحفل: الكلمة الآن لسعادة الأستاذ: عادل خميس.

«كلمة سعادة الأستاذ عادل خميس»

الحمد لله واصلي وأسلم على النبي الأمي الأمين، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ثم بعد..

فرحم الله محمد إقبال حين قال: حديث الروح للأرواح يسري وتدركه القلوب بلا عناء، هذا حديث من أحاديث الروح، ولأنه كذلك أجدني اللحظة مرتاحاً، لأن أرواحكم ستأذن له بالدخول دون أن تلقي بالاً لِعَيّ حروفي أو فهاهة كلماتي، يا هذا العمر، (وليس قولي يا هذا بظاهره) العرب تعرف من أكبرت والعجم، العُربُ تعرفه لأنه لم يتوانَ يوماً أن يذبح وقته بل

عمره قرباناً لعربيته، والعجم تعرفه كذلك لأنه لم ينحنِ أمام عواصف سمومهم، ولم يخبئ كلمة حق يرد بها عليهم.

اسمحوا لي أن أعود قليلاً إلى قاعة الدرس لأخبركم عمَّن تعرفونه جيداً، هو الصادق في كل شيء، الصادق في مشاعره وانتماءاته، الصادق في وعوده ومواعيده، الصادق في رِفقهِ وقسوته، أبحر بنا نحو الجاحظ وأيامه فآمنا أنه سكن معه غرفته تلك التي قتلته، ونزل بنا في ضيافة أبي العلاء وغفرانه حتى أيقنا أنه المهندس الذي صمَّمَ لأبي العلاء جنته وناره، كذلك تجوّل بنا في مشروع الجرجاني فشعرنا أقول شعرنا أنه هو من أسرَّ لعبد القاهر بنظريته، أكرر شعرنا، وعرج بنا على حزام بن دهمان فأدهشنا أنه عرف قرية ابن دهمان أكثر منه، وتحدث عن سارتر ووجوديته، فقلنا لا بد أنه كان معه في مقهى فلورسان جرمان بشاطئ باريس الأيسر حين خطَّ أُسس نظريته، ألم أقل إنه الصادق، فبقدر ما اختلف مع سارتر وآرائه إلا أنه أحقَّ الحق وحمد كثيراً لسارتر موقفه الثابت الرافض للسياسة الفرنسية مع الجزائريين، وبذكر سارتر أظن أنه من المهم في ظروفنا هذه سرد مقولته عن السبب الموضوعي لرفضه لجائزة نوبل في الآداب عام ٦٤م قال سارتر حينها: إن المعركة الممكّنة الوحيدة الآن في جبهة الثقافة هي معركة التعايش السلمي بين ثقافتين، إحداهما ثقافة الشرق، والأخرى ثقافة الغرب، والمواجهة يجب أن تتم بين الناس والثقافات دون تدخل للنظم والمؤسسات، وأنا أعلم ـ والحديث لسارتر ـ وأنا أعلم تمام العلم أن جائزة نوبل ليست جائزة أدبية يمنحها الغرب لكنها تكون بحسب ما يصنع بها المرء لكنها في الموقف الراهن تبدو موضوعياً كأنها امتياز يُخصّ بها الكتّاب الغربيون والمتمردون في الشرق، كان يقصد بالشرق حينه روسيا والدول التابعة لها، فهل تغيّر مقصوده بشرق اليوم؟

يا لهذا العمر! لقد خلدت جزائر الثورة برجال يطاول شموخهم شموخ منارة سيدي فرج تلك التي وقفت تحكي لفرنسا وللغرب أجمع تفاصيل عزة بناها الأبطال بإيمانهم وصمودهم وإبائهم.

سعادة الدكتور باسم كل تلاميذك الذين أُشرِبوا منك الوفاء والصدق، أقول شكراً.. شكراً لله الذي أكرمنا بك.. شكراً لمن أتاح لنا فرصة الاحتفاء بك.. شكراً لك حين لمست أمانينا فصارت جداول.. وأمطرتنا حباً وما زلت تمطرُ. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

«كلمة فارس الاثنينية سعادة الأستاذ الدكتور عمر بن قينة»

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أيها الإخوة الأفاضل، أيتها الأخوات الفاضلات، سلمتم وغنمتم، حياكم الله معشر كرام، وبياكم فضاء حب وسلام، في أرض العروبة والإسلام.

ترتبك الألفاظ وتتعثر الكلمات في فيض حفاوتكم، وغمر مشاعركم التي تزيدني خجلاً على خجل، فإن صُنف الخجلون كنت في مقدمتهم، تأسرهم الحفاوة والاحتفاء، فتصادر في النهاية أريحيتكم العربية حريتهم الشعورية، في هذا الألق الإنساني، في فضاء بهيّ، يلمع سنى، ويقطر ندى ويعبق شذى، فيبل صدى، في فضاء (جدة) الجدود، في بيت الشيخ (عبد المقصود) فضاء فكر وجود، تغمره التحايا تترى، ترفل في طيوف الحب الودود، في زمن قل فيه الود.. وشاع العقوق والصدود.

يتعثر أيها الأخوة الأعزاء أمامكم اللسان في غمرة هذا الالتئام، على الخير والمودة والإحسان، فجوزيتم على الحفاوة خيراً، وبورك فيكم تفصيلاً.. وجمعاً.

يقتضي التقليد في مثل هذه المناسبات الحديث عن التجربة الثقافية والإنسانية بالذات، فماذا عساي أقول في رحلة مع الكلمة تجاوزت عشرات السنوات.. حافلة بالانكسارات.. والمنغصات.. لكنها متوّجة دائماً ببعض الانتصارات.. إن لم يكن على المستوى الوطني العام، فعلى المستوى الشخصي بالذات.

أستسمحكم إذن في العبور بمحطات، نمر ببعضها مرور الكرام مهلاً، وببعضها مرور المستعجلين سعياً، وبغيرها مرور البخلاء سعياً أو عدواً، هذه المحطات يمكن حصرها في النقاط التالية المتوالية:

١ ـ في الدراسة والحياة.

٢ ـ عن التجربة في البحث العلمي.

٣ ـ تجربتي مع الكتابة والإبداع.

٤ ـ ملاحظات من تجربتي المبكرة في النقد.

٥ ـ أنا والنشر: في عالم الصحافة والكتاب.

٦ ـ التجربة التعليمية.

٧ ـ لحظة الكتابة.

٨ ـ أحلام.. في آخر.. الكلام.

١ـ في الدراسة والحياة:

في بادية إحدى القرى بالجنوب، كان أكبر أحلام والدي أن أكون إماماً، بتجاوز القرية كبر الطموح، أرسلني والدي إلى (الزاوية) لحفظ القرآن الكريم، ومتون لغة، ونحو، مع ضيق أدركته لاحقاً لدى رجلين في الزاوية

ضاقوا بطموحي، وبشيء من جدّ لدي.

مع فجر استقلال الجزائر كبرت الأحلام، وأنا أشارك في مسابقات وامتحانات مهنية، فقنعت بوظيفة معلّم التي كانت يومئذٍ إنجازاً كبيراً.

اطردت طموحاتي كمعلم: كان السقف أن أكون معلماً أو أستاذاً في التعليم الثانوي فخضت التحدي على جبهات عمل ودراسة من أجل الالتحاق بالجامعة، فتم ذلك في عام ١٩٦٩م، ثم اجتذبتني المدرسة العليا للأساتذة فخضت المسابقة.

هكذا انتهيت طالباً في الجامعة، وفي المدرسة العليا للأساتذة (وفي الأيام الأولى من رمضان حكايات) تخرجت من الأولى عام ١٩٧٢م، ومن الثانية في عام ١٩٧٣م، وقد نما في نفسي طموح جديد، بفعل المناخ الذي عشته في الجامعة، ومع البحث، وقد التحقت بالدراسات العليا، مع الالتحاق بالتعليم الثانوي التزاماً بالعقد الذي وقعته مع المدرسة العليا، مما تخلّص منه (شاطرون) فطاروا إلى شتى بقاع العالم، أو عدلوا عن طريق التعليم والبحث في (الجزائر) إلى طرق أخرى بدت مربحة في الحياة زاهية بين الناس.

حين أنهيت المرحلة الأولى في الدراسات العليا لمناقشتي (شهادة الدراسات المعمقة: DEA عام ١٩٧٦م سجلت رسالتي للدكتوراه الطور الثالث، ثم التحقت للعمل بالجامعة منتدباً للبحث العلمي من وزارة التربية بعد وفائي بفترة العقد، حتى أنجزت رسالتي لدكتوراه الحلقة الثالثة، سنة ١٩٨٢م سجلت بعدها رسالتي لدكتوراه الدولة التي ناقشتها عام (١٩٩٢م).

رغم ضراوة المواجهة لحياة جديدة في العاصمة الجزائرية كان الطموح دائماً كبيراً، كان الطاقة التي أنهض بها من كبوة أو أتجاوز بها خندقاً. بدا

لي هذا الطموح فطرياً، من دون أن أهمل حقيقة (جوهرية) أنه كان لي في كل خطوة أخطوها (هدف محدد) لم تكن لي مشاريع وأهداف خارج الحياة العلمية والتعليمية، كان الطموح يرسمها على مراحل، خطوة خطوة، وهو ما أنصح به الشباب ـ رغم تجنبّي لأن أكون في موقع الناصح ـ فعليه أن يحدّد الأهداف على مراحل، وأن يهيئ أسباب الوصول، ومنها الاستعداد والتضحية والمثابرة.

كان الطموح الأول الأكبر أن أدخل الجامعة وأصير أستاذاً في التعليم الثانوي، ما إن دخلت الجامعة حتى كبر الطموح.

فعرفت في الجامعة معنى (البحث) في المصادر والمراجع، أغرانا أستاذ الفارسية بمنح في (إيران) للدراسات العليا فاعتنقت مع زملاء الفكرة مبدئياً: تطلعاً لفضاءات بدت مغرية لكنها سرعان ما تراجعت بخفوت الاهتمام من الأستاذ المذكور، وربما لضيق بدا تجاهه من رئيس دائرة اللغة العربية التي كانت تدرس فيها الفارسية كلغة أجنبية إجبارية.

لكن الطموح كبر إصراراً على الظفر بالدكتوراه، المرور إليها عبر كل (المتاريس) و (الخنادق) وهو ما صار ضرورة لا مناص منها حين قبلت في (الجامعة) بشهادة الدراسات المعمقة.

تثميناً للتفاني في الجهد منحتني الجامعة بعد حصولي على درجة دكتوراه (الحلقة الثالثة) نحو سنتي (تفرغ) للانتهاء من جمع باقي مادة رسالتي للدكتوراه بين (الجزائر) و (باريس).

عند التخرج لم أرض الابتعاد عن جامعتي (جامعة الجزائر) مع انتداب محدود منها إلى (المدرسة العليا للأساتذة) التي كنت طالباً فيها يوماً في بداية الدراسة.

٢ ـ التجربة التعليمية:

ـ من التعليم الأساسي إلى التعليم الجامعي، في جامعة الجزائر المركزية (١٩٧٨ ـ ١٩٩٧م) المدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية.

لم يعتر هذا الحب تبديل حتى عام ١٩٧٧م فقررت المغادرة إلى (المدرسة العليا للأساتذة)، ومنها إلى جامعة (قطر)، وهي الفرصة التي ظفرت فيها بأداء فريضة (الحج) فرأيت لأول مرة على الطريق السريع اسم (جامعة الملك عبد العزيز)، فخفق القلب إليها لا كفضاء علمي فحسب بل لقربها من (مكة)، تلت مرحلة (قطر) سنة واحدة في جامعة (صنعاء).

بعد (قطر) و (صنعاء)، أتت الدعوتان الكريمتان تحييان شوقاً قديماً إحداهما من (جامعة الملك عبد العزيز) في (جدة) والثانية من (جامعة الإمام) في (الرياض)، حين استخرت الله اطمأنّ القلب إلى (جامعة الملك عبد العزيز) قرب الحرم في مكة المكرمة، فما أجمله قرباً! فأعذب لحظات السمو أمام الكعبة المشرفة، كما أن أهنأ لحظات الود والأنس بين الأهل، مثلما أن أمتع لحظات الحب حديث من القلب إلى القلب، في مثل هذه اللحظات بين نخبة من أبناء جدة الجدود، في بيت الشيخ عبد المقصود.

٣ ـ التجربة في البحث العلمي:

حين قلت منذ حين أن على الشباب أن يحدد الأهداف على مراحل، مع تهيئة الأسباب، ومباشرة المكابدة، كانت في ذهني تجربتي في البحث العلمي التي كانت (مريرة، بل قاسية) في بعض الظروف، حتى كادت توشك في مرحلة ما على (القنوط) كابدت ذلك من أول (خطوة) من خطوات البحث العلمي (بعد المرحلة النظرية في الجامعة).

كانت الكتابة قد اجتذبتني قبل دخول الجامعة، فوجدت متنفسها في البحث العلمي الذي بات شغفاً توازى مع شغف الكتابة في الصحافة وإعداد البرامج الثقافية في الإذاعة.

هنا رحلة طويلة ذات محطات تعددت تقاطعاتها، لذا أحرص فقط على الإشارة إلى محطات البحث العلمي، كرسائل أكاديمية أو بحوث متخصصة.

الرسائل الأكاديمية: كانت تجربة المعاناة فيها قد امتزجت المرارة والعذوبة معاً، وهي ثلاث:

١ ـ الديسي حياته وآثاره (للدراسات المحققة) معاناة (المتاريس) في الوصول إلى المادة الأدبية.

٢ ـ القصة الليبية القصيرة: نشأة وتطوراً لرسالة الدكتوراه الحلقة الثالثة، عانيت فيها حجزاً في (المطار) وصولاً إلى (مؤامرات) شبه (دكتور) و(دار) تونسية ـ ليبية أخذت جهدي وقبرته، لم أندم على شيء كما ندمت على الوقت الذي ضاع مني هنا.

٣ ـ انصرفت في (دكتوراه الدولة) لأدب الرحلة، فعشت التجربة بحثاً، في مكتبات (الجزائر) و (باريس) حيث يغريك ذلك التعاون العلمي الفذ، في (باريس) هنا أدركت في البحث تراجع الرحلة الحجازية في الرحلة العربية عموماً لصالح الرحلة الأوروبية، لعوامل جمّة (تاريخية، واجتماعية، ونفسية، أيضاً وسياسية كذلك) حيث وجدتني أتعامل بحرية مع المصادر في (الجزائر) و (باريس) التي أغرتني بالجديد، من بينها كتاب عن (الجزائر) نشر منذ نحو (قرن) له (قصة). أمّا البحث ثم النشر في الدوريات الأكاديمية (المحكمة) فقد كان مؤلماً حتى الإزعاج والإحباط، على العكس من ذلك النشر في الدوريات العامة.

تلك الدوريات (المحكمة) في الوطن العربي مثل:

ـ (عالم الفكر) الكويتية، و (الفيصل) السعودية.

ـ الفيصل التي نشرت لي فجلبت لي اهتماماً من كتاب في المشرق والمغرب، ثم: تدخل فعل فاعل في تعطيل بحث لي بعد وصول تأكيد يفيد البرمجة للنشر، زال العجب حين قال لي أحد العالمين بالخفايا ينبغي أن تكون هنالك، فهناك الأيدي الخفية التي تعمل بمعيار آخر غير المعيار العلمي.

صورة عما يعانيه جو البحث والنشر، في الوطن العربي، الذي فرّخت فيه (الشللية) القطرية، والانتماءات الإيديولوجية.

٤ ـ تجربتي مع الكتابة والإبداع:

بدأت أولى تجاربي الكتابية قبل شهادة التعليم المتوسط، بالشعر من دون نشر، وبمقالتين أوليين نشرتا لي في (الشعب) و (المجاهد) الجزائريتين كادتا تعصفا بي أمام أعوان (فرنسا) الذين خلفوها في الإدارة سنة (١٩٦٢ ـ ١٩٦٣م).

استقررت على (القصة) و (المقالة)، و (الخاطرة)، والرواية.

أول مجموعة قصصية عام ١٩٨٢م لي كانت (جروح في ليل الشتاء) عن مرحلة تحوّل من (استقلال) إلى أمل في بناء (دولة وأمة).

ثم مجموعة (غيمة وإحدى عشرة قصة) تبعتها مجموعة (اسما وعبد الخوف)، معظمها في (باريس)، فضلاً عن (قصص شعبية من الجزائر).

ثم رواية: (مأوى جان دولان) التي كتبتها في مقهى Vieux-Chatelet بباريس على نهر (السين).

تبعتها رواية (على الربوة الحالمة) التي يُركَّب فيها الزمن، والمكان، والأشخاص.

٥ ـ ملاحظات من تجربتي المبكرة في النقد:

كانت تجربتي المبكرة في النقد قاسية في بعض مراحلها:

ـ محاولات في الأدب بدأت في الجانب الاجتماعي، ومع بقايا الإدارة الفرنسية.

ـ في الجانب الأدبي تزامنت مع وجودي طالباً في الجامعة، في الصحافة وفي الإذاعة، فكان منها برنامج (منبر الشعراء).

ـ ومقالات عديدة في هذه المرحلة المبكرة حول (الشهداء يعودون هذا الأسبوع): التي بدأ فيها شيء من الإشهار.

ـ و (ريح الجنوب)، التي بدت لي تثميناً ببغائياً للخطاب السياسي الديماغوجي السائد عن سياسة (الثورة الزراعية) التي أفضت إلى خراب.

ـ ومسرحية (محمد خذ حقيبتك): لصاحبها (كاتب ياسين) كموقف من إيديولوجية الرجل، وموقفه من انتماء الجزائر عملاً منه في ركاب الاستعمار، في دور حركي عميل.

وهي المقالة المرة، التي مضيت أتجوّل بها بين الصحف (الشعب) تحت إدارة (عبد القادر بن صالح) الذي رفض نشرها، و (المجاهد) تحت إدارة فضيل الذي اعتذر عن عدم نشرها، أما (ألوان) فقد تبنت جزءاً ملخصاً.

خلال هذه التجربة المرّة: كتبت للرئيس (بومدين) أشكو هذا الحصار، فجاء الرد بالبريد، تتبعه سيارة الدرك الوطني ذات الدفع الرباعي ليكون التحقيق (العسكري ـ الأمني) معي، أمام البيت ثم في الثكنة. كنت في ذلك كله أخوض التجربة: انطلاقاً من اقتناع وحسن قصد، ونية، مهما كان الخطأ والصواب. هنا في هذه المرحلة حركت قلمي في نقد: (قصة الأسبوع) في جريدة (الشعب) اليومية العمومية.

٦ ـ أنا والنشر ـ في عالم الصحافة والكتاب:

أولاً ـ عالم الصحافة: انطلقت من الصحافة الجزائرية ثم اتسعت إلى معظم أنحاء الوطن العربي، وخارجه في (باريس) و (لندن)، ولي هنا أكثر من قصة مع صاحب صحيفة لبناني في (باريس) ومدير تحرير (الوطن العربي)، رغم ترحيب مجلة (كل العرب) بمقالاتي في الصفحة الأخيرة المميزة، وبقصصي داخل العدد، فضلاً عن مجلات عربية عديدة مختلفة، في (ليبيا) و (العراق) و (الإمارات) و (قطر) و (الكويت) و (السعودية): محكمة وعامة.

ثانياً ـ في عالم الكتاب: أول تجربة كانت نواتها محاضرة قدمتها يوماً عن (ابن باديس) في (بوسعادة) قبل أن أكون طالباً في الجامعة، تقديرها من لدن الجمهور: شجعني على إثرائها حين دخلت الجامعة وأرسلت المخطوط إلى دار النشر التابعة لوزارة الإعلام والثقافة (ش.و.ن.ت) من بُعد مئات الأمتار خجلاً من اقتحام دار عملاقة لامعة برّاقة، وكدت أنسى مخطوطي حتى فوجئت وأنا ذاهب إلى البيت ذات مساء حين توقفت أمام واجهة مكتبة فرأيت كتابي معروضاً للبيع، وقد تم نشره، فاقتحمت المكتبة واشتريت منه عشر نسخ. ثم تشجعت في اليوم التالي وذهبت إلى (الدار)

حيث رحب بي مدير النشر شاكراً مجهودي، آمراً بإعداد حقي من نسخ الكتاب، وإعداد صك (شيك) خاص بالمكافأة. من هنا بدأت معظم كتبي تصدر عن هذه الدار حتى سنة (١٩٩٢م) لينتهي حالها إلى ما انتهى إليه حال الوطن فحوّلت وجهتي إلى (ديوان المطبوعات الجامعية) التابع لوزارة التعليم العالي الذي احتضن أعمالي العلمية الأكاديمية، وحتى العامة منها، كما مضيت أتعامل أيضاً مع دور النشر الخاصة في (الجزائر) وخارجها، التي رأيت فيها من (المصائب) ما لم أكن أتوقعه يوماً ما في حرم مؤسسة تتعامل مع الحرف الطاهر.

بين العمل والكتابة:

أخيراً أعاني حبين بينهما أتمزق: حب (العمل في الجامعة) وحب (الكتابة) يومياً، ممّا يكلفني عذاباً نفسياً، وعناءً بدنياً، غالباً ما ينبهني إليه أبنائي وزوجتي، من دون جدوى، فأسعد اللحظات تلك التي أجدني فيها بين طلبتي وأنعم بها لحظة أفرغ فيها من بحث أو مقالة أو قصة، ما أعذبها لحظة حتى وهي تسلمني إلى الفراش «جثة هامدة» كما عبرت عن الموقف إحدى طالباتي في (الدراسات العليا) بجدة، وهي تقدم مبررات تقصير منها في (البحث) الذي تكفّلت بإنجازه في الفصل الدراسي.

انتقلت في التدريس خلال أربعين سنة من حلم صغير إلى كبير فأكبر بتؤدة في مختلف المراحل عبر أهداف محددة بالتدرج، من معلم بسيط جداً في أدنى درجات السلم بالتعليم الأساسي يحلم بمنصب في التعليم المتوسط إلى أستاذ في أعلى درجات السلم بالتعليم الجامعي، وهو الفضاء الذي وثّق علاقتي بالقراءة والكتابة، حتى صار (التعليم) و(الكتابة) لدي ضرتين تتنازعان أمري، رغم أنهما متكاملتان في واقع حالهما.

ففي غمار المعركة العلمية والتعليمية حققت ما لم أحلم به قط، كما أنجزت كل أعمالي الكتابية في العمل والتأليف من أول تجربة مقالية (صدامية) في (عين الإبل) حتى الآن مروراً بمواقف وأحداث في العمل وفي الكتابة فيها الحلو العذب والمرّ الأليم.

مرت الكتابة لدي بعدة مراحل، تداخل فيها دائماً التحدي، مع الحياء، الحياء يصير جرأة صدامية لقيت في ذلك تشجيعاً من قراء شرفاء، ومن كتّاب وطنيين من أمثال (د. محيي الدين عميور) منذ عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧٨ ثم في التسعينات من القرن الماضي وهو كاتب في المجاهد، وطبيب، ثم مستشار للرئيس (هواري بومدين) وسفير الجزائر في باكستان، من حيث راسلني بكلمة طيبة، ذاكراً لي أنّه وزّع مقالة لي نشرت في (الشعب) على كلّ السفارات العربية هنالك.

لحظة الكتابة:

تعرف الكتابة لدي لحظة تمتزج فيها ضراوة المعاناة وطرب الروح هي الملاذ حين تتوتر المشاعر، حين تظلم الآفاق وتدلهم فتضيق النفس، وهي اللحظة التي أخرج منها مغتسلاً متخففاً من وعثاء المعاناة هي الشفاء من هذه (المعاناة) معاناة الروح قبل البدن، يحدث هذا دائماً وفي كل الأوقات حيث حللت وأنّى ارتحلت.

كان ذلك في (الجزائر) و (باريس) و (ليبيا) و (الدوحة) و (اليمن) أما في (جدة) فقد انفتح هنا فضاء نور إلى آخر أكبر وأعظم دفئاً وإشراقاً وسلاماً، حيث أجد فيه التعويض والخلاص من لحظات عسر تفكير ورتابة حياة، هو فضاء الحرم المكي، صلاة في المسجد الحرام، فرائض..،

ونوافل تمد الروح بشحنة من السمو نتطهر فيها من كل مشاعر ضيق أو عنت حياة أو إرهاق عمل أو تفكير فتزداد الروح سمواً وإشراقاً في (عمرة) حول الكعبة المشرفة طائفاً وبين (الصفا) و (المروة) ساعياً ثم إلى المسجد النبوي زائراً، فلله الحمد على نعمته في البدء وفي الختام.

ـ أحلام في آخر هذا الكلام:

هاهنا من آخر الأحلام في هذا الكلام، وجب عليّ أن أذكر: أنني حين كدت يوماً أيأس أو ربّما يئست فعلاً من الحج فرضاً، وصوت ابنتي تقول لأمها: ألا تحجان؟ تعنيني أنا وأمها، فقلقت ثم يسّر الله ذلك.. وجاء فضله ونعمه.. وكرمه.. بحج.. وحج.. وعمرات، فما أجمل الآمال والأحلام حين تغدو حقائق فما أعرض آمالي.. وما أكثر أحلامي! وما أوسع مشاريعي!..

ـ أحمد الله على ما حققت، وأشكره على ما جاد به من فضل في التوفيق وأدعوه جل وعلا في أن أرى شيئاً من أمل باقٍ.. في انتصار أمتنا الإسلامية والعربية على ذاتها.. على أمراضها.. على الفرقة والصراع فيها، على الفتن الظالمة التي لا تكاد تنطفئ في وطن حتى تطل برأسها في آخر.

قد يكون هذا من آخر الأحلام، ومن أجملها، والإيمان بالله والثقة في رحمته بوابة للظفر بهذا الحلم الجميل، هكذا عرفت، وعليه عشت، من الصبا إلى الكهولة.

ـ خارج هذا: كان حلمي أن أحسن الكتابة، أن أنشر المقالة والقصة، أن أنشر كتاباً.. وكتاباً، حقق الله حلمي، فله الحمد في البدء وله الحمد في الختام.

ـ لم أحلم إذن بجاه ولا مجد، ولم أحلم أيضاً بمال وفير ولو فعلت وعملت له لاهث الأنفاس، لتقطّعت أنفاسي، ولكنت أول المهزومين، لكنني أحبّ المال الحلال الناجم عن العمل الشريف، أحب روح الشرف في هذا كما أحبه في خطوات الوصول في التعليم، فما أجمل الوصول إلى الأحلام الجميلة على الدروب الوعرة النبيلة!

ـ عبر رحلة العمل والأحلام والآلام؛ بعذاباتها وانكساراتها وانتصاراتها المنجزة، كنت ولا أزال وسأبقى أومن بالتنافس الشريف: في كل المجالات، أقبط المنتصرين وأبغض الحسد والحاسدين.

لم أعان الضيق والبؤس هنا إلا من حالات يصل فيها غير مستحقين لمواقع يؤذون عبرها الآخرين، فيسيئون لوطن ويشوهون صورة أمة شريفة، صغيرة أو كبيرة (عربياً أو إسلامياً) داخل قطر أو خارجه، في وطن العرب، أو في عالم المسلمين.

لم أكتم يوماً عند الاستطاعة تعبيراً وتحريراً في صحف داخل الجزائر وخارجها، ابتهاجي بوصول مستحقين لمواقع تهيئ لهم فرص العمل بحب وصدق لخدمة أمتهم، وفي النفس تتفاعل مشاعر شتى ابتهاجاً بالعاملين الجادين المخلصين، في أرض العروبة، وعالم المسلمين، وقلمي مثل لساني لا يكف عن ترديد قول رب العالمين ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ (التوبة: ١٠٥) صدق الله العظيم.

شكراً أيها الإخوة الأعزاء، أيتها الأخوات الفضيلات، شكراً سعادة الشيخ (عبد المقصود خوجه) على نبلكم، وفيض إكرامكم، في (اثنينيتكم) المعلم البارز في الحياة الأدبية والفكرية في المملكة العربية السعودية.

السلام على الجميع ورحمة الله تعالى وبركاته..

«الحوار مع المحتفى به»

عريف الحفل: أرجو أن يتسع الوقت للإجابة عن أسئلة الجميع وهي كثيرة، وليعذرنا الأخوة وإن ضاق بنا الوقت ولم يتسنّ لنا طرح الأسئلة التي وردت إلينا مؤخراً، واسمحوا لي أن أكون متحيزاً فقد استأثرنا بالقسط الوافر من الوقت لنبدأ بكلمات وأسئلة الأخوات الأديبات في الصالة النسائية إذا كانت هناك لديهن تعليقات أو أسئلة.

الشيخ عبد المقصود خوجه: لا نسمح بالتعليقات والمداخلات إنما نستقبل الأسئلة فقط.

إحدى الحاضرات: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لا توجد أسئلة عندنا شكراً.

عريف الحفل: سنبدأ بأسئلة الحضور هنا، سؤال من الأستاذ هيثم الأشقر مدير مجلة «المنار» يقول:

ما هو دور العلماء والنخب الأمازيغية في مواجهة الدعوة الأمازيغية وهل من تنسيق بين علماء مختلف الأعراق لمواجهة هذه الجاهلية؟

الأستاذ الدكتور عمر بن قينة: شكراً جزيلاً، أعترض في البدء عن كلمة (أعراق) في الجزائر فنحن أمة واحدة في واقع حياتها وجوهرها الإسلام ثم إنني أعتقد كما أقول دائماً أننا مقصّرون إلى أبعد الحدود وأعني هنا رجال الفكر وعلماء الدين في المنطقة الأمازيغية بشكل خاص، المنطقة الأمازيغية هذه هي التي في بداية الفتح الإسلامي حملت راية العروبة والإسلام، أشرت إلى ذلك في كتابي «المشكلة الثقافية» ونبهَ إليها الدكتور عبد الكريم منذ قليل، وهم كانوا سادة اللغة العربية في النحو وفي الفقهيات كانوا رواداً في خدمة العربية، أول نص في النحو العربي:

أمازيغي، أول ألفية قبل ألفية ابن مالك كتبها أمازيغي هو ابن معطي الزواوي، يومئذ الرجال كانوا صناديد، حين اعتنقوا العربية لغة الإسلام اعتنقوها عن حب وعن إيمان، حباً لهذه العقيدة، ولهذ مكَّنوا لها في منطقة الأمازيغ ذاتها، ولهذا نجد الإنسان في هذه المنطقة لا فرق عنده بين عربي ومسلم، إذا قلت له إنك عربي فقد قلت له إنك مسلم آلياً، ولهذا في منطقة القبائل نجد هذا الشعور، لكن المواطن هناك مشكلته أنه بقي سلبياً لعوامل اسمحوا لي أن أضنَّ بها.

أما التنسيق فهو الحقيقة الغائبة دائماً لدى أصحاب الحق ثم لدى الأغلبية الضحيّة لصمتها الذي ألحق بها الهوان لوعد الله فهي كغثاء السبيل.

رجال الثقافة الحقيقيون من رجال الفكر والرأي للأمازيغ باتوا اليوم ضحية سلبيتهم لمواقف أيضاً، لمواقف شخصياً أخذتها عليها، وقلت لهم شخصياً حتى في الصحافة الجزائرية نحن ندفع ثمن سلبيتكم، أنت أيها الأخ الأمازيغي أنت الذي ينبغي أن ترفع هذا التشويه عن منطقتك، أنا حين أخرج من الجزائر ألمس هذا الانطباع حتى في الحج الأخير التقيت مع أحد الأخوة المصريين يقول لي: ماذا يريد هؤلاء، يا أخي القبائل أخواننا هكذا أجبته، قبائل الأمازيغ هم حماة الإسلام، ولكن شُوِّهوا ونحن محتاجون إلى تصحيح هذا التشويه، فإذاً نحن مقصرون من دون شك، علماء الأمازيغ الحاضرون هم المقصرون في دورهم حالياً.

عريف الحفل: سؤال من أشرف السيد سالم يقول:

تبذل الاثنينية جهوداً ملموسة ومشكورة، لردم الهوة التي تفصل بين الثقافة المغاربية عن المشرق العربي، ولكنها لا تكفي، فما هي مقترحاتكم لتنشيط هذا التواصل؟

الأستاذ الدكتور عمر بن قينة: شكراً جزيلاً، وأرى أن هذه خطوة مبشرة بالخير، رأينا هذا الانفتاح من سعادة الأستاذ الشيخ عبد المقصود في هذا الفضاء الذي أعطاه بُعداً عربياً عاماً إسلامياً بشكل أعم، ولاحظنا هذا الانفتاح على المغرب العربي وهذا الذي كنا نطمح إليه، أن هناك صوت المغرب العربي يعاني في الوصول إلى المشرق العربي وهذا أقوله دائماً، ونحن مسؤولون إعلامياً مثلما أن إخواننا في المشرق العربي مسؤولون وأعوان الاستعمار غير بريئين في صناعة الوهاد بين مشرق الوطن العربي ومغربه، والشكر الجزيل للأستاذ عبد المقصود في أنه تنبه لهذه النقطة الطيبة ونعتقد ونطمع لاتساع الفضاءات أنها خطوة أولى إن شاء الله ستكون لها ثمار طيبة.

عريف الحفل: سؤال من الأستاذ عبد الوهاب أبو زنادة يقول:

تتميّز الأجناس الأدبية الجزائرية بعمق التجربة الإنسانية والتأثر بالأجناس الأدبية المنشورة باللغة الفرنسية، ولكننا لا نكاد نجد منها إلا النزر اليسير في المكتبات السعودية.. فهل تردون ذلك إلى تقصير من دور النشر.. أم تردونه إلى سبب آخر؟

الأستاذ الدكتور عمر بن قينة: فرنسا عش التفريخ للأجناس والنظريات ولم تفد منها إلا قشوراً وما أخذناه بقي بعيداً عن التطعيم بتراثنا أما توزيع الكتاب بين أقطارنا فمشكلته سياسية ومالية وإدارية مع ذلك فإطلاعي رغم محدوديته في المكتبات في المملكة العربية السعودية في جدة بشكل خاص أرى أن هناك نماذج ومنشورات معتبرة في المكتبات بجدة وأعتقد أنه ليس كل ما ينشر في الغرب جميل وهو جدير بالعناية والاهتمام، وينبغي علينا نحن أن نجتهد في البحث في تراثنا بالاستفادة من هذه المناهج الأجنبية،

والذي يؤسفني أننا نلاحق هذا الجديد على مسافات فبعد خمسين أو أربعين سنة نتابع هذا الجديد.. بدل أن تكون هذه المتابعة آنية، أي في إبانها ولا تنتظر السنوات العشر والعشرين والثلاثين وحتى الخمسين.

عريف الحفل: الأستاذ عبد الحميد الدرهلي يقول:

عزوف الناس عن القراءة حوّل الرواية إلى عالم السينما وعبر مسلسلات تشاهد على الفضائيات، هل كان لنتاجكم الأدبي الراقي نصيب في ظهوره على الشاشات العربية؟

الأستاذ الدكتور عمر بن قينة: لا للأسف الشديد، بالنسبة للإعلام.. وهذا ما لم يتسع لدي الوقت للحديث عنه بما يكفي ولن يتسع كانت هناك تجربة.. حتى في الترجمة.. اقترح عليّ أحد الناشرين ترجمة أحد أعمالي وفي تحويل الأعمال الروائية إلى أعمال سينمائية كان من بينها رواية «مأوى جون دولا» وهي تمثل معاناة الإنسان المسلم في الغرب، وأنا كتبتها في قلب باريس، في يوم الأحد حين أضيق أحياناً بمن حولي أذهب للوفر وأحياناً حين أضيق أذهب إلى مقهى في شاتلي، وشاتلي القديم على نهر السن أنجزت هذه الرواية وكان الذي يمدني بالقهوة دائماً هو يهودي ويضيق بهذا العربي الذي يراه كل أحد يحط رحاله في هذا المقهى، ومع ذلك لا يصبر كثيراً، هذه الرواية نفسها اقترحت كعمل سينمائي ولكن الأغراض المختلفة حالت دون ذلك كحال الترجمة، وأنا دائماً أربأ بنفسي عن هذه المساومات، حتى إن بعض أعمالي حين بدأت تترجم من الصحافة الجزائرية العربية إلى الصحافة الفرنسية في الجزائر كشفت لي عن خراب في النفوس، فبأي منطق هنا أتعامل مع سماسرة وتجار غير شرفاء في

الأدب نفسه فتجاربنا للأسف الشديد مُرّة سواء في الترجمة، أو في تحويل الأعمال إلى أعمال سينمائية.

عريف الحفل: سؤال من الأستاذ غياث عبد الباقي يقول:

الأخبار الواردة من أرض المليون شهيد أرض مالك بن نبي وابن باديس والإبراهيمي مؤلمة عن معاناة لغة القرآن الكريم.. لغة العروبة والأصالة فهي محاصرة وتتعرض لطعنات غادرة في داخل الجزائر الحبيبة ومن خارجها فكيف السبيل لتعزيز مكانة تلك اللغة؟

الأستاذ الدكتور عمر بن قينة: بقدر ما أحييك فإنني لا أستطيع في الواقع أن أوافق على كلمة محاصرة، ولكن أستطيع أن أوافق على كلمة أنها تتلقى طعنات، وأعتقد أن الطعنات هذه سيكون أذاها كبيراً حين نواجهها نحن في الجزائر باللامبالاة وتجاهل القوانين التربوية نفسها، والجزائر حتى في التعليم في كل مراحل التعليم تربوياً كان هناك ما يسمى بـ «التشريع المدرسي» والتعليم الثانوي كله معرَّب، وكان هناك استبسال في تدريس اللغة العربية باللغة العربية نفسها، ويحرم تربوياً على الأستاذ أو المعلم في أي مرحلة أن يدرِّس بأية عامية، لهذا عانى إخواننا من المشرق العربي من مصر ومن سوريا حين كانوا يأتون ويحملون معهم لهجاتهم أو لغتهم المحلية، لكني لا أكتمكم أن هناك الآن شيئاً من السلبية بالنسبة لنا نحن كمثقفي عربية، كأساتذة حتى في الجامعات أو في الثانوية، ومن مظاهر هذه السلبية في التعليم تدريس عربيتنا باللغات المحلية، أنا شخصياً أمارس الحصار حتى على أولادي إن الجميع والحمد لله يجيدون العربية والفرنسية والإنجليزية، ولكنه محرّم عليهم أن يتكلموا بغير العربية في أروقة

البيت، فالعربية لا تعاني حصاراً ولكن تعاني شيئاً من كسلنا نحن كمعلمي عربية وساهرين عليها.

عريف الحفل: سؤال من الأستاذ عجلان الشهري يقول:

ظهرت في وطننا العربي والإسلامي في العصور الحديثة دعوات قومية متعددة كالطورانية والأمازيغية والكردستانية والعربية.. وخلافها غذتها قوى لا ترجو لأمتنا الإسلامية خيراً، وصلت في وقتنا الحاضر إلى درجة أن يُنظر للوجود العربي من قطر عربي في قطر عربي آخر بأنه وجود أجنبي.

من وجهة نظركم لماذا تلقى مثل هذه الدعوات نجاحاً على أرض الواقع؟

الأستاذ الدكتور عمر بن قينة: لا أعتقد نجاحاً كبيراً لهذه الدعوات، وإذا أردتم أن أشير إلى بلدي، هذه الدعوة نجحت جزئياً وأعتقد وهذا إيماني الراسخ أعتقد أنه نجاح مؤقت، ولهذا كنت دائماً ضد هذه الحملة الشرسة ومع ذلك قلت لأخواننا دعوهم يتكلمون، دعوهم يتعلمون الأمازيغية، علموهم الأمازيغية، لأن أنصار اللغة الأمازيغية والذين يدعون لها يهربون أبناءهم للمناطق التي تدرس العربية والفرنسية فقط، وأعرف حتى من الجيران في المنطقة وأنا عشت نحو عشر سنوات في عمق القبائل الأمازيغ وأعرف هذه الحقائق، فأعتقد أن هذا النجاح ظرفي وحين يشتد عود الدولة في حد ذاتها يكون للدولة تلك الهيبة أو تسترجع الدولة هيبتها القوية، وتمكِّن للثقة بينها وبين المواطن أعتقد أن في ذلك موتاً لهذه الدعوات بالنسبة للجزائر وأقيس عليها النعرات الأخرى، أعتقد مرة أخيرة أنه نجاح ظرفي ولن يكتب له النجاح إطلاقاً.

عريف الحفل: السؤال من سعادة قنصل عام السودان أحمد التيجاني محمد الأمين يقول:

ما هو دور الشعر العربي في الثورة الجزائرية مفخرة كل المسلمين والعرب عبر أشهر شعراء الجزائر الذين شاركوا في إثراء الثورة وما أحسن ما قيل من شعر في هذا الباب؟

الأستاذ الدكتور عمر بن قينة: من دون شك الثورة الجزائرية في الشعر العربي المعاصر بحر لا ساحل له فما من شاعر عربي من طنجة أو من الرباط إلى بغداد ما عن شاعر عربي هو جدير بهذه التسمية إلا وهزته الثورة الجزائرية وكتب فيها شعراً، ولو شئنا أن نجمع ما قاله شعراء الأمة العربية لضاقت مكتبة بما قاله الشعراء العرب في الثورة الجزائرية، فإسهامهم كان كبيراً ودورهم في وصول صوت الثورة الجزائرية للمواطن العربي كان عظيماً كما كان صوت الشاعر الجزائري بفضل الله ثم بفضل الرجال الإعلاميين الشرفاء النزهاء في وطننا العربي الذين كانوا يبيحون للصوت العربي شعرياً أن يصل للمواطن العربي وبفضل هذه التسهيلات التي كانت استطاع بعض الشعراء الجزائريين أن يصلوا للمواطن العربي، الخلل هنا أن المواطن العربي كان ضحية تضليل، لا أكتمكم أننا على جسر الثورة الجزائرية نفسها أوصلنا إلى الإنسان العربي أيضاً الفكر المعادي للثورة الجزائرية تحت جناحها فكراً وأدباً جزائريون بالجنسية، وتعرف انتماءاتهم وبعضهم يلقى الله خارج الجزائر ولا شيء يربطه بالجزائر وذكرت هذا في إحدى مقالاتي التي نشرتها جريدة «المدينة»، واعتبرت أن ذلك ليس أدباً جزائرياً في النهاية، فأدب الأمة ما كُتِبَ بلغتها، وهو المعبر عن وجدانها فممكن أن من يكتب باللغة الفرنسية الفرنسيون هم الذين يحتضونه، ولا علاقة لنا بذلك، الكلام في هذه النقطة بالذات يطول ويقصر، الأدب ليس لغة وظيفية، ليست لغة المدرج لغة الجامعة، الأدب

هو لغة نسيج الحياة شعور الأمة، حياة الأمة، هو ليس لغة وظيفية أؤدي بها عملي في الجامعة بالنسبة لمن يدرس مواد أجنبية وأنسحب، هو شيء أبعد من ذلك هو عمق روحي وبُعد حضاري، ولهذا فالشكر موصول لأخواننا في الوطن العربي شعراء ورجال سياسة، ورجال إعلام على الدور الذي قاموا به.

عريف الحفل: سؤال من الدكتور محمد أبو الأجفان أستاذ الدراسات العليا الشرعية بجامعة أم القرى يقول:

ما هو سر رفضكم لجائزة رئيس الجمهورية الجزائرية؟

الأستاذ الدكتور عمر بن قينة: القضية بسيطة، أنا اتخذت موقفي منذ ٧٤ حين كنت عضواً في اتحاد الكتّاب الجزائريين، كان توقى أن أرى الأمور ينبغي أن توكل لأهلها، ورئيس الجمهورية كان يومئذٍ ـ أي لاحقاً ـ الشاذلي بن جديد ـ ذكره الله بالخير على كل حال ـ رجل طيب لا غبار عليه، لا أستطيع أن أقول فيه كلاماً سلبياً، قضية الكفاءة شيء آخر، نُكِنُ له التقدير، لكن الذي قرّر هذه الجائزة قررتها مجموعة طفيلية من الوصوليين الأيديولوجيين تابعة لحزب جبهة التحرير الواحد الوحيد ولم يقررها مختصون، قررها حزبيون ووزعوا الجوائز بحسب هواهم، ولهذا كانت الجوائز تشمل ستمائة مكرّم من بينهم الأستاذ الجامعي الذي نحر شبابه في الجامعة وترك للمكتبة أو أعطى المكتبة العربية ثلاثين أو أربعين كتاباً، وضعوا إلى جانبه في المستوى نفسه الراقصة والمذيعة المتدربة، من الذي أقرّ ذلك، بسطاء في حزب لا علاقة لهم بالثقافة، فقلت شخصياً الأمر ينبغي أن يُسند لأهله، ليس لموقف سياسي أو ما أشبه بالسياسة، الموقف ثقافي، لهذا عندما جاءت جائزة التكريم من الجامعة والاتحاد

العام الوطني الجزائريين، من بينهم طلبتي استجبت بكل حب لذلك وثمنته وسعدتُ به وأعتز به، لأنني حين مُنحت هذا التكريم وتلك الجائزة من الجامعة وأمام مجموعة من الأخوة الوزراء والمسؤولين والجامعيين منحتها بناء على جهوده وقرر رجال علم وأهل اختصاص من الجامعة هذه الجائزة قرّرها أساتذة وبعضهم لا يعرفونني، يعرفون إنتاجي ولهذا حتى أن أحدهم أمام وزير التعليم العالي عندما تقدم يصافحني وقال لي الحمد لله أننا لم نخطئ في تقديرنا، فكل الجوائز في العادة يقررها أصحاب الشأن أصحاب الثقافة، أما أن يأتي حزبيون بسطاء.. طفيليون فهو أمر مرفوض والحمد لله وأنا سعيد برفض الحضور لجائزة الشاذلي حتى اللحظة.

الشيخ عبد المقصود خوجه: من المؤسف لا أستطيع طرح الأسئلة الباقية لكثرتها ولضيق الوقت، ولكن كما اتفقنا الأسبوع الماضي بإذن الله نقدمها للضيف الكريم ليجيب عنها ولتنشر في كتاب الاثنينية، لكم الشكر ولضيفنا الكريم جزيل الشكر والتقدير.

الأسئلة التي أجاب عليها فارس الاثنينية كتابة لضيق الوقت:

الأخ علاء الدين قادري: في عصر الغزوات التي نعيش فيه أين نحن في المغرب العربي الكبير من غزو المشرق العربي الأكبر؟

الأستاذ الدكتور عمر بن قينة: نحن مغزوون يا سيدي، نحن تحت الهيمنة الغربية والأميركية علينا اقتصادياً وثقافياً وسياسياً، وعلى وشك الوقوع بين فكّي الكماشة إن لم نرمم الصفوف في المغرب الإسلامي العربي، وأول خطوة في ذلك قبر الخلافات المفتعلة، وأخذ الأغلبية الصامتة في الأمة بزمام المبادرة سلمياً، ينهض بها راشدون فكرياً وثقافياً،

لا غوغائيون انتهازيون ذوو مصالح شخصية أو حزبية أو نحوها.

علينا أن نعي الدرس مما يعدّ لنا من مصارع وخنادق مشرقياً ومغربياً على خطوات، وسقوطنا في المغرب الإسلامي العربي جاهز إن بقيت الأقلية الفرانكوفونية ماسكة بأمرنا.

في مغربنا الإسلامي العربي مناعة دينية هي عرضة للتآكل بفعل الأدعياء في العقيدة، والدخلاء في السياسة، والوصوليين والانتهازيين في كل المواقع من دون استثناء.

الأستاذ الدكتور محمود حسن زيني يقول: محمد أركون جزائري لكنه غريب في العروبة، والإسلام ما هو تأثيره الثقافي في الجزائر والبلاد العربية المسلمة؟

الأستاذ الدكتور عمر بن قينة: السيد محمد أركون هو جزائري بالمولد، كأي فرنسي ولد في الجزائر تفكيره جنسيته الرسمية (أي الفرنسية) أفكاره، موقفه من الثورة الجزائرية (١٩٤٥ ـ ١٩٦٢) تجعله جميعها بعيداً عن الجزائر، فهو لا أثر له في الجزائر، فالجزائر لا تعطي هويتها إلا من آمن بالله رباً والإسلام ديناً ومحمد نبياً، والجزائر حباً وهوى ينبض بها القلب لا كلمات على الشفاه، هوية الجزائر الحضارية تجعل السيد (أركون) غريباً عنها كأي مستشرق فرنسي رغم حرصه على ذلك شكلياً، وكفره بما هوى، فلا وجود لتأثيره الثقافي إلا في محيط أكاديمي ضيق جداً بالجزائر.

ربما وجد شيئاً من إعجاب به في المشرق العربي المضلل بفعل كتاب فيهن متيّمون بكل ما هو أجنبي، (أركون) أجنبي، متطرف بمولده الجزائري في ولائه للغرب، وبعض الأكاديميين في المشرق عالة عليه، مولعون به، ولعٌ مهزوم داخلياً بمن هزمه فكرياً، تبقى الجزائر عصية على احتضان

المارقين، الذين تقاعسوا عن خدمة أمتهم حتى وإن كانوا من فئة (أركون).

الأخ عبد الرزاق الغامدي: اعترضت يا سيدي عرضاً على المدرس الفرنسي لنفيه وجود ضمائر في العربية كاللغة الفرنسية ليتك تتكرّم وتذكرها لنا لتعم الفائدة، وهل (نحن) و(إنَّا) من ضمائر التعظيم؟

الأستاذ الدكتور عمر بن قينة: الأستاذ الفرنسي يفهم خطأ أن صيغة التعظيم (للفرد) احتراماً له وتقديراً، بمثل (أنتم) بدل (أنت) لا وجود لها في العربية، هو يرى صيغ التعظيم تلك المعروفة في الفرنسية في مخاطبة الفرد الذي نحترمه أو نقدّره كالحاكم والأستاذ أو لا نعرفه بصيغة الجمع هي غير موجودة في العربية.

فضمير (أنتم) في رأيه لا تقال إلا في مخاطبة جماعة، فأوضحت له أننا نخاطب بهذا تماماً الآخر كما هي الحال في الفرنسية، مثل كل غريب عنا لا نعرفه، كما نخاطب بها من نجلّه، لعلمه أو موقعه.

أعترف أن الرجل انطلق في ذلك من منطلق جهل بالموضوع، وليس رغبة في الحط من شأن العربية وقلة الذوق والأدب فيها كما يزعم ذلك بعض من الأوروبيين في أن العربية لا تتوفر على أدبيات اللياقة، وحسن الأدب، ومن مظاهر ذلك في زعمهم: أنهم يخاطبون بصيغة المفرد (أنت) أيضاً من هو جدير بالإجلال والتعظيم والتوقير. وهم يعتقدون خطأ أن (أنتم) هي في العربية للجمع وحده.

طبعاً أخي الكريم من ضمائر (الجمع) كلمتا (نحن) و (إنّا) يعلنها أو ينطقها مسؤول وهي من صيغ التعظيم أيضاً، وقد وردت في القرآن الكريم كثيراً لاسم الجلالة وذلك ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ (الكهف: ١٣) ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ (القدر: ١)

الأخ خالد الحسيني: عاش الأديب حوحو في المدينة المنورة زمناً ثم غادرها إلى الجزائر واستشهد في حرب التحرير، ماذا تعرفون عنه؟

الأستاذ الدكتور عمر بن قينة: الشهيد أحمد رضا حوحو رمز من رموز وحدتنا العربية الإسلامية، من شهداء الكلمة في الجزائر المجاهدة، اختطف من بيته ليلاً، وأعدم في مكان لا يزال مجهولاً، فلا قبر له اليوم، دفع حياته مثل المئات من شهداء الضاد، شهداء الكلمة، الذين لم يسالموا العدو الفرنسي، ولا عملاءه الخونة، وقد وصفته في كتاباتي بأنه كان جيشاً قائماً بذاته، خاض معارك مختلفة على أكثر من جبهة، جبهة الحكّام الفرنسيين وضباط الجيش الفرنسي وشرطته، وجبهة الموالين للاستعمار المستفيدين من وجوده. هؤلاء الذين كان أذاهم أعظم من أذى المحتل ولا يزال مستمراً.

إنه من رموزنا الثقافية المجاهدة الشهيدة التي يحاول الانتهازيون من أشباه المجاهدين والأدعياء ممن ركبوا قطار الثورة للنزهة والوصولية التقليل من دورهم، أي التقليل من دور المثقف، المفكر، رجل العلم المحارب الصنديد في المدرسة والصحيفة وبالكتاب فهم معقدون منه عقداً مزمنة.

الأخ أحمد بياه: هل تحدد لنا اللائكية والعلمانية تحديداً علمياً، وهل ثمة فرق بين حقيقتها العلمية والتوظيف السياسي لها؟

الأستاذ الدكتور عمر بن قينة: العَلمانية بفتح (العين) أوسع من أن تتسع لها لحظات أو سطور، لكن يمكن القول إنها الترجمة السيئة لكلمة اللائكية (Kaique) التي تجعل الحياة السياسية مدنية، غير خاضعة للضوابط الدينية (المسيحية) في الغرب، فحقيقتها قانونية سياسية خالصة، فهي لا تعني (علمية) بمعنى (العلم) بل تعني عَلْمنة السياسة، مما كان نتيجة للثورة

على (الكنيسة) في (الغرب) ونتائج الثورة الفرنسية التي أحدثت انقلاباً جذرياً في (المجتمع الفرنسي) ثم في الحياة الأوروبية كلها.

وهي إن وظفت سياسياً بشكل خاطىء مقيت فإنما في شعوبنا العربية والإسلامية من أجل خداعنا، وضرب المقوم الأساسي في هويتنا مما نختلف فيه جذرياً عن (الغرب) فالإسلام ليس ديناً كهنوتياً، وليس لعالم الدين وساطة بين الناس وخالقهم، كالحال لدى رجال الدين المسيحي الذين كانوا يمنحون (صكوك الغفران) نيابة عن الرب، لبيع (مواقع) في الجنة للتائبين الذين عليهم أن يدفعوا مبالغ مالية لرجل الدين نظير صك أو شهادة بأن الله غفر لهم، و(نيابة) عنه يسلّم رجل الدين (الشهادة).

وظفت القضية من لدن الحكام الفرنسيين أنفسهم سياسياً خارج (فرنسا) للتمويه، بينما كانت ترعى الكنائس التي تخوض حرباً عقدية لمؤازرة الجيوش المدججة بالسلاح في القرن التاسع عشر، في عز الهجمة الحاقدة على العالم الإسلامي كله من (طنجة) إلى (جاكرتا) واليوم الاجتياح في طبعة معدّلة.

ففي (فرنسا) بعد الثورة مثلاً أبعدت العلمانية نفوذ رجال الدين، عن الحياة السياسية لكنها لا تناهض الدين ولا يتدخل السياسيون في شؤون الناس الدينية، وما حدث في فرنسا من سنّ قانون يمنع الرموز الدينية، وأهمها الحجاب الإسلامي إنما لظروف سياسية، طبق ذلك فيها في إطار محدود مع سوء فهم للعلاقة بين الرمز الديني كالصليبي المسيحي والطاقية اليهودية والزي الشرعي كواجب.

أما العملاء والببغاوات في العالم الإسلامي فقد أساءوا فهم ذلك، فرأوا أن العلمانية أي (اللائكية) تعني محاربة الدين، ولذا شنوا حرباً ضروساً ولا يزالون في أقطار من عالمنا العربي والإسلامي على الرموز الدينية الواجبة

شرعاً، من دون مبررات قانونية ولا شرعية، في أمة مسلمة يحكمونها بالحديد والنار.

وأحسبك تقدر أن الموضوع شائك في ضرب المزيد من تفاصيل الأمثلة من أمة مسلمة، سقطت صريعة في أيدي العملاء، فبكّروا بمنع حجاب المرأة المسلمة قبل فرنسا نفسها من دون أدنى مبرر غير الضيق بالدين، بل ضاقوا برفع الأذان في المساجد وغير ذلك مما لم يفعله بعض في الغرب نفسه، لدى الغرب تعني العلمانية فصل الدين عن الدولة، بعض في العالم الإسلامي جعلوها حرباً سياسية على (الدين) وأهله أي الأمة.

ومعذرة إن قصرت لطبيعة الظرف في تفاصيل ضرورية في مثل هذه الحال، وعن ضرب أمثلة مجالها آخر.

«كلمة الختام»

عريف الحفل: ختاماً نشكر للجميع حضورهم، ونشكر للمشاركين في تكريم ضيفنا مشاركتهم، والآن يقدم سعادة الشيخ عبد المقصود خوجه لوحة الاثنينية هدية تذكارية لفارس الاثنينية، شكراً لكم سعادة الدكتور، وشكراً لكم أيها الحضور ونود أن نذكر حضراتكم أن ضيف الاثنينية القادم هو البروفيسور أليكسي فاسيليف فإلى ذلك الحين، استودعكم الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.